مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧١ . العدد ١٠٤ .

الْحجاب وَالنَّوْع الإجتماعي

دَرَّاسَة تارِيخِيَّة

في العصرين اِلْأَمُوي وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل

الدُّكْتُورَة : ريم الرديني

قسم التَّارِيخ – جَامِعَة الْكُوَيْت

الملخص

.....٣

المقدمة ٦

الحجاب في اللغة والاصطلاح.....١٣

وما بين الجلباب والخمار.....١٥

الخلفية التاريخية: الحجاب ما بين الأثار وعصر النبوة والخلافة الراشدة.....١٦

أ: الحجاب والأثار التاريخية.....١٦

ب: الحجاب ما بين عصر النبوة والخلفاء الراشدين.....١٩

العصر الأموي:الحجاب والطبقية العربية.....٢٦

العصرالعباسي: الحجاب و التغير في التركيبة الإجتماعية.....٣٢

الخاتمة.....٤٣

المصادر والمراجع ٤٧

الملخص

الْحجاب وَالنَّوْع الاجتماعي: دَرَّاسَة تارِيخِيَّة في العصرين اِلْأَمُوي وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل

أخذْت الدَّرَّاسَات الْحَدِيثَة عَلَى عَاتِقِهَا مُنَاقِشَة حجاب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة، إِذا كَان هَذَا الصِّرَاع دِينِيّا وَعَقْلِيّا. فَمَوْضُوع الْحجاب مُتَجَدِّد وَقَد تَوَالَت الْكِتَابَات الَّتِي تَتَطَرَّق إِلَيه إِمَّا مُنَاهِضَة لَه أَو مُدَافِعَة عَنْه. وَهَذِه الدَّرَّاسَة الَّتِي نَحْن بِصَدَدِهَا تَسْلَط الضَّوْء عَلَى هَذِه الْقَضِيَّة وَالتَّتَبُّع التّارِيخِيّ لِحجاب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة، وَهُنَا لَا يَتَم التَّرْكِيز عَلَى الْآرَاء الْفِقْهِيَّة أَو حَتَّى الْمُعارِضَة لِأَنّ دَرَّاسَات كَثِيرَة تَنَاوَلْت هَذِه الْجَدَلِيَّة، لِذَلِك تَتَجَنَّب هَذِه الدَّرَّاسَة التَّعَمُّق فِي الْمَفْهُوم الْفِقْهِي الْمُدَافِع عَن مَوْضُوع الْحجاب، تُرَكِّز هَذِه الدَّرَّاسَة إِلَى الْمُمَارِسَات التّارِيخِيَّة لِلْحجاب لَدَى النِّساء الْمُسْلِمَات، أَيّ التجربة التِي تَعْبَر عَن الْمُمَارِسَة التّارِيخِيَّة لِلْحجاب خِلَال حُقب تارِيخِيّة مُهِمَّة مَا بَيْن الطَّبَقِيَّة الْعَرَبِيَّة فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ وَالتَّغَيُّر فِي التَّرْكِيبَة الْاِجْتِمَاعِيَّة فِي الْعَصْر العَبّاسِيّ الْأَوْل، وَتُرَكِّز الدَّرَّاسَة عَلَى النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ وَتتبّع تَطَوُّر و الدَّلَالَة التّارِيخِيَّة لِلُفِظ كَلِمَة الْحجاب، وَكَذَلِك مُعَرَّفَة دَلَالَة كُلّ مَن مَفْهُومِي الْخُمَار وَالْجِلْبَاب، كَذَلِك فَهُم عَنَاصِر مُهِمَّة مِثْل الطَّبَقَة واالعرق وَالْعُنْصُر حَيْث ان فَهُم هَذِه الْفِئَات وتبلورهها مَن خِلَال عَامِل "تَجْرِبَة النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ"، و الَّذِي يُنْص عَلَى أَنَّه مَن الْمُمْكِن دَرَّاسَة النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ فِي النّظام الْأبوي بِالْكَشْف عَن الابعاد الْمُهِمَّة لهذة الْفِئَات وَأَثَارَهَا ، حَيْث إِنَّهَا جَمِيعا لَهَا دُوِّر كَبِير فِي كِتَابَة التَّارِيخ وَفِّهُم الْقُوَّة (السلطة)، تطرح الدراسة أسئلة مهمة: هَل كَان الْحجاب رَمْزا لِاِتِّساع الْفَجْوَات الطَّبَقِيَّة وَالْعَرَقِيَّة بَيْن النِّساء فِي العصرين اِلْأَمُوي وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل؟ وَهَل أُثِرْت التَّغَيُّرَات الْاِجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقَافِيَّة الَّتِي طَالَت الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ فِي إِعادَة الدُّور الدِّيِّنِي بِشَأْن اِرْتِدَاء النِّساء لِلْحجاب؟

Abstract

This paper focuses on the concept of *Hijāb* (the veil) through the selection of a number of historical events related to the Umayyad and the first Abbasid periods to address the concept of cover. The study focuses on gender and traces the development and historical significance of the word *Hijāb* veil as well as knowing the meaning of each concept of, *Khimār* throw, *Jilbāb garment* as well as understanding the different elements like class, ethnicity, and race as they crystallized through the factor of gander experience, which helps to study gender in a patriarchal system and all they play a role in writing history and understanding power(authority)The environment surrounding women's life in Umayyad and first Abbasid periods go on line with the question of this study: how was the veil a symbol of the widening, ethnic, class and gender gaps between women during the era of this study? Also have the social and cultural changes in the Islamic community affected the

religious role of women wearing the *Hijāb?* this paper will examine the concept of power by applying gender ,class and race with patriarchy system in the area', and the practice of women wearing *Hijāb* shows the subsequent religious legislation that came in response to the Arab socio-class cultural obligation, which will be examined in this study.

الْمُقَدِّمَة

الْحجاب مَن أَهُم الْقَضَايَا الَّتِي أُخِذْت نَصِيبا وَافِرا مَن النِّقَاشَات وَالدِّرَّاسَات الْحَدِيثَة ، فَهُو مَوْضُوع مُتَجَدِّد ، وَقَد تَوَالَت الْكِتَابَات بِشَأْنِه ، وَبِالْرَّغْم مَن أَنّ الْحجاب كَان مَوْرُوثًا تاريخيا لِبَعْض الدِّيانَات الْقَدِيمَة[١] ، وَاِعْتَبَرَه الْبَعْض أَنَّه مَن مُخَلَّفَات الْمَاضِي فَإِنَّه اِرْتَبَط بِالْمَرْأَة الْمُسْلِمَة بِشَكْل مُبَاشِر ، وَأَصْبَح يَشْكُل الرَّمْزِيَّة الْحَتْمِيَّة للمرأة الْمُسْلِمَة ، خَاصَّة بَعْد أَن أُعْطَى مُعَظَّم فقهاء الدِّين الْإِسْلامِيّ الْحُكْم الشَّرْعِيّ فِيه.[٢] أَثَار الْحجاب صِراعا وَآرَاء مُخْتَلِفَة لِلْمُؤَيِّدِين [٣]كَفُرَض وَفْق مَا جَاء بُحْكُم الْفقهاء مَن جِهَة ، وَكَانَت أيضا هُنَاك آراءالرافضين لِفِكْرَة الْحجاب مَن جِهَة أُخْرَى.[٤] هَذَا بِالْإِضافَة لِوُجُود التَّيَّارَات الْغُرْبِيَّة الْمُؤَيِّدَة لِحُقوق الْمَرْأَة الَّتِي كَانَت تستنكرالحجاب عَلِيّ أَنَّه صُورَة مَن صورالإضطهاد.

---

[١] كيال، باسمة : تطور المرأة عبر التاريخ، بيروت: مؤسسة عز الدين ١٩٨١، ص٣١. و أبو المجد، ليلى : المرأة بين اليهودية والاسلام، القاهرة:دار الثقافية للنشر،٢٠٠٧، ص٤٥

[٢] بن أنس،مالك : موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ،ج١،بيروت : دار إحياء التراث،١٩٨٦، http://waqfeya.com/book.php?bid=3579 ٢٥/سبتمبر/٢٠١٨ أيضا البصري، عمر بن شبه النميري ، أخبار المدينة المنورة، تحقيق: عبد الله محمد الدويش، بريدة: دار العليان،٢٠١١ http://waqfeya.com/book.php?bid=6280 ٦/نوفمبر/ ٢٠١٨م

[٣] السقار،صهيب محمود: جدلية الحجاب ،تحقيق: محمد العوضي، الكويت:أفاق،٢٠١٧،ص٣٣-٥١. انظر أيضا عامري،سامي: الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية، السعودية: مركز تكوين لدراسات والأبحاث،٢٠١٨، ص٣٥

[٤] البناء،جمال،الحجاب ،القاهرة:دار الشروق،٢٠٠٨،ص.٢.انظريوسف،ألفة: ناقصات عقل ودين في فصول حديث الرسول، تونس: دار سحر للنشر،٢٠٠٨،ص٣٤. أمين، قاسم: تحرير المرأة ،القاهرة: مؤسسة هنداوي٢٠١٢م، ص٣٧

للمرأة فِي الْمُجْتَمَعَات الاسلامية[٥] تَسَلَّط الدِّرَاسَة الضَّوْء عَلَى مُمَارَسَات النِّساء الْمُسْلِمَات لِلْحجاب ، حَيْث تَنَاقَش الدِّرَاسَة الطَّبِيعَة الْاِجْتِمَاعِيَّة لِلْحجاب خِلَال حِقْبَة زَمَنِيَّة مُهِمَّة مَا بَيْن العصرالأموي وَالْعَصْر الْعَبّاسِيّ الْأَوْل. أُعْتُمِدْت الدِّرَاسَة عَلَى اِسْتِخْدام مَفْهُوم النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ وَالَّذِي يَفْسِر عَلَى أَنَّه مُقَارِبَة تَحْلِيلِيَّة جَنْدَرِيَّة لِتَقْديم الذَّكَر أوا لأنثي ، وَالنَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ ، هُنَا الْمُسْتَخْدِم هُو التَّنْظِيم الْاِجْتِمَاعِيّ بَيْن الْجِنْسِين ذَكَرا و أُنْثَى [٦]، وَهُو الدُّور الثَّقَافِيّ الَّذِي يُصَنِّفَه الْمُجْتَمَع لِلنَّوْع. وَلَفْهِم وَاقِع النِّساء فِي كُلّ تَجْرِبَة تارِيخِيَّة ، تُذْكِّر جَوْن سكوت [٧] أَنّ الصُّورَة الرَّمْزِيَّة لِلنِّساء مَا هِي إلا مَفَاهِيم مِعْيارِيَّة تُوَضِّح مَعَانِي الرُّموز ، وَتُفُسِّر هَذِه الْمَفَاهِيم عَلَى أَنَّهَا " تعاليم وَمَبَادِئ دِينِيَّة وَتَعْلِيمِيَّة وَعِلْمِيَّة وَقَانُونِيَّة وَسِياسِيَّة ، وَعَادَة تَتَّخِذ شَكْل تَعَارُضَات ثُنائِيَّة بَيْن طَرِفِين ".[٨]

تَتَنَاوَل الدِّرَاسَة النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ فِي التَّارِيخ ، حَيْث يَنْظُر عِبَر التَّارِيخ إِلَى الطُّرُق الَّتِي مَن خِلَالَهَا يُجَرِّي إِنْشاء هُوِيَّة "النَّوْع" وَالْإِلْتِفَات الى الصُّورَة الثَّقَافِيَّة الْمُرْتَبِطَة بِالسِّياق التّارِيخِيّ ، وَعَمَلِيَّة انشاء النَّوْع اِجْتِمَاعِيًا دَائِمَا تُكَوِّن مُرْتَبِطَة بِالطَّبَقَة وَالْعُنْصُر وَالْعُرْق وَهُو مَا سَمُّي بِالثَّالُوث الْمُقَدِّس[٩] ،وَهُنَا يَمْكُنّ النَّظَر إِلَى النَّوْع وَالتَّرْكِيز عَلَى علاقاته الْاِجْتِمَاعِيَّة والمؤسسية فِي الْمُجْتَمَع الْأُمَوِيّ ومن بَعْده الْعصر الْعبّاسِيّ الْأَوْل ، بِالْإِضافَة إِلَى اِرْتِبَاط النَّوْع بِالسُّلْطَة ، وَلَا يُعَنِّي هُنَا التَّرْكِيز عَلَى

---

[٥] Bullo Katherine: Rethinking Muslim Women & The Veil: Challenging Historic London: The International instate Islamic thought 2010,P4

[٦] سكوت ،جون:"النوع: مقولة مفيدة في التحليل التاريخي"، ترجمة: عبير عباس،كتاب النسوية والدراسات التاريخية،مؤسسة المرأة والذاكرة،العدد٣ ،٢٠١٥ ، ٣٥-٦٢

[٧] نفس المرجع ،ص ٣٤

[٨] نفس المرجع

[٩] جيمس،اوليام :البراجماتية،ترجمة: محمد العريان، القاهرة:أفاق للنشر والتوزيع،٢٠١٦،ص٥١

النَّوْع بِمَفْهُومِه الْوَصفِي الْبِيُولُوجِيّ أَو دَرَّاسَة أَشْيَاء تَتَعَلَّق بِالْمَرْأَة ، بَل دَرَّاسَة النَّوْع وُفِّق مَنْهَجِيَّة بِمِحْوَر

مَوْضُوعِيّ وَشَعَبَه التّارِيخِيَّة ،خَاصَّة بِالطَّرِيقَة الَّتِي تَقَوَّم الْمُجْتَمَعَات بِتَمْثِيل النَّوْع وَأَدْوارَه ، وَالَّذِي دَائِما مَا كَان يَرْتَبط بِالطَّبَقَة وَالْعُنْصُر. إِنّ هَذِه الْمَفَاهِيم الْمِعْيارِيَّة تَرْفِض التَّعَامُل مَع الْإِمْكانَات الْبَدِيلَة كَمَا فِي مَوْضُوع الدَّرَّاسَة وَهُو الْحجاب ، عَلَى الرَّغْم مَن الْإِخْتِلاَف فِي قِرَاءة النَّصّ الدِّيِنِي فِي كَوْن الْحجاب فَرْضا أَو عُدِم وُجُود نَصّ وَاضِح ،" لَكِنّ يبَقَّى النَّصّ الدِّينِيّ بِمَفْهُومِه الْمِعْيارِي ، وَيَبْقَى الرَّأْي الْإِجْتِمَاعِيّ السَّائِد يَطْغَى عَلَى الْمَوْقِف وَيَفْرِض سَيْطَرَتَه ، وَفِي النِّهَايَة يَتِمّ تَقْرِيرَه بِوَصْفِه الشَّيْء الْوَحِيد الْمُمْكِن ، وَتَتِمّ كِتَابَة التَّارِيخ بعدئذ كَمَا لَو أَنّ تِلْك الْمَوَاقِف الْمِعْيارِيَّة لَم تَنْتِج إلا عَن اجماع اِجْتِمَاعِيّ ، لَا عَن عَمَلِيَّة صِراع".[١٠] إِنّ كِتَابَة تَارِيخ الْحجاب كَمَفْهُوم تَارِيخِي وَلَيْس فَقَطّ بِاعْتِبارِه مِعْيَارا دينيا يُعَطِّي صُورَة أُوَضِّح لِرَمْزِيَّة مُهِمَّة و مُمَارِسَة تارِيخِيَّة لِنُوِّع اِجْتِمَاعِيّ (النِّساء) بَارِز فِي الْمُجْتَمَع الْمُسْلِم ، وَخَاصَّة فِي الْحِقْبَة التّارِيخِيَّة مُوضع الدَّرَّاسَة. لِذَا فَإِنّ دَرَّاسَة الْمَعَايِير التّارِيخِيةّ يجبّ أَن تُؤَخّذ وَفْق مَعَايِير تَجْرِبة النِّساء لِلْحجاب ، أَيّ أَخَذ الْحجاب وُفِّق مَفْهُوم أُعَمِّق وَهُو السِّتر! تُسَلِّط هَذِه الدَّرَّاسَة الضَّوْء عَلَى اِسْتِخْدام الإختبارات لِلنَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ مَن خِلَال تَحْدِيد فِئَات مَن النِّساء وُفِّق الطَّبَقَة وَالْعُنْصُر فِي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ ، لِذَلك فَإِنّ فحص الْأَحْدَاث التّارِيخِيَّة لِحجاب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة، تَوَضَّح مَجْمُوعَة أَفْكَار مَوْرُوثَة مَن التَّارِيخ الْإِنْسانِيّ ، بِالْإِضافَة إِلَى التَّفْسِيرَات الْفِقْهِيَّة التي بَنَيْت عَلَى أُسُس اِجْتِمَاعِيَّة مَوْرُوثَة لِنظام ذُكورِي ، وَالَّتِي أَثَّرت فِي شَرِيحَة مَن الْمُجْتَمَع ومازالت، حَيْث " إِنّ طَرَائِق تَفْكِيرِنَا الْأَسَاسِيَّة بِالْأَشْيَاء هِي اِكْتِشَافَات الْأَسْلاف السَّحِيقَة فِي الْقَدَم ، اِسْتَطَاعَت أَن تَحْتَفِظ بِنَفْسِهَا طُوَال وَخِلَال خَبِرَة كُلّ الزَّمَن اللّاَحِق وَهِي تَشَكُّل مَرْحَلَة وَاحِدَة كُبْرَى مَن التَّوَازُن فِي تَطَوُّر الْعُقُل الْإِنْسانِيّ ".[١١] لَقَد كَان وَمَازَال الْحجاب يَتَّخِذ مَعَانِي وَتَفْسِيرَات كَثِيرَة ، فَهُنَاك أَوَلَا الْحجاب الدِّينِيّ الْمُتَأَثِّر بِآرَاء الْفقهاء وَالْمُؤْمِن بِالْحُكْم الشَّرْعِيّ لِلنَّصّ

[١٠] "النوع: مقولة مفيدة في التحليل التاريخي"،ص٥٥

[١١] نفس المرجع

الدِّيِّني ، وَالْحجاب السِّياسِيّ الَّذِي يَتَأَثَّر بِشِعَارَات دِينِيَّة سِياسِيَّة ، وَأَخِيرًا الْحجاب الْمُجْتَمَعِيّ ، وَهُو مَا يعبّر عَن ثَقَافَة مُجْتَمَع وعاداته وَتَقالِيدَه.

إِنّ هَذِه التَّفْسِيرَات مَا هى إلا مُمَارِسَة لِمَفْهُوم الْحجاب عبرالتاريخ ، وَالسُّؤَال هُنَا! هَل كَان الْحجاب رَمْزا لِاتِّساع الْفَجْوَات الطَّبَقِيَّة وَالْعَرقِيَّة بَيْن النِّساء فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل ؟ هَل أثرْت التَّغَيُّرَات الْاِجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقافِيَّة لِلْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ فِي إِعادَة الدُّور الدِّيِّني الْاِرْتِدَاء النِّسَّاء لِلْحجاب ؟

لِلْإِجَابَة عَلَى هَذِه الإسئلة تُرَكِّز الدِّرَّاسَة عَلَى الدِّلاَّلَة التّارِيخِيَّة فِي لَفْظ كَلِمَة الْحجاب لغويا وَاِصْطِلاحا ، كَذَلِك مُعَرَّفَة مَفْهُومِي الْخُمَار وَالْجِلْبَاب وَتُتَبِّع تَطَوُّرَهُمَا وَتَبَلْوُرَهُمَا فِي مَفْهُوم السُّتُر. وَالْخَلْفِيَّة التّارِيخَة لِلْحجاب ، وَمَا أَعْقُبُه مَن مُمَارِسَة لِلْحجاب ظَهِرْت فِي الدَّوْلَة الْأُمَوِيَّة و أَثَرْت فِي مَكَانَة الْحُرَّة الْعَرَبِيَّة (الطَّبَقَة) الَّتِي حَصِدْت اِمْتِيازَات عُدَّة ، وَمَا حَدَث فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ الْأَوْل مَن تَغَيُّر فِي التَّرْكِيبَة الْاِجْتِمَاعِيَّة (الْعُنْصُر)، وَالَّتِي أَثَرْت فِي بِتَوْظِيف مَفْهُوم الْحجاب لَدَى النِّساء (النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ) مِمَّا حُدِّد دُورَهُم الْجَنْدَرِي فِي مَسْأَلَة الْحجاب. حَيْث ان تَقْديم دَرَّاسَة تارِيخِيَّة لِنساء تُكَوِّن وَفْق تَدَاخُلَات الْهُوِيَّة وَالسِّياق التّارِيخِي الثَّقافِيّ الْاِجْتِمَاعِيّ الْإِسْلامِيّ ، لِمَفْهُوم " الْحجاب " مَبْنِيّ عَلِّي دلالت عَقْلِيَّة وَتارِيخِيَّة لِمُمَارِسَة النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ وتجربتة لِلْحجاب لِحَقِب تارِيخِيَّة مُهِمَّة شَكِلْت الْمَرْحَلَة الْفَاصِلَة الْإِعْطَاء تَفْسِيرَات لِنُصُوص دِينِيَّة مُهِمَّة. تسعي هذة الدِّرَّاسَة إلى فَهم أليَّة تَطْبِيق الْحجاب كَمَفْهُوم عَلي النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ "ان تَفْكِيك الْأَنْمَاط الْاِجْتِمَاعِيَّة الثَّابِتَة الَّتِي صَنَعْتِهَا الثَّقَافَة وَجَعَلْتِهَا بِمَثَابَة إعتقادات يَحْمِلَهَا النَّاس عَن الرُّجَّال والنساء".[١٢]

ان قِرَاءة التُّرَاث التّارِيخِيّ لِلْحجاب وُفِّق فَهُم النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ يُسَاعِد عَلَّي ايجاد تَفْسِير اِجْتِمَاعِيّ تَارِيخِي لِفِّهِم التَّجْرِبَة النِّسَائِيَّة ، حَيْث فِي تَحْلِيل دُور النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ الَّتِي دَائِما مَا تَتَدَاخَل مَع مَا

[١٢] J Archer, B. LIoyd, Sex and Gender, (united kingdom: Cambridge University press 2002,p.19

سَمُّي بِالثَّالُوث[١٣] وَهُو اِرْتِبَاط تَقْديم دَرَّاسَة النَّوْع مَع الْعُرْق وَالْعُنْصُر وَالطَّبَقَة [١٤]أي أَشْكَال هَيْمَنَة مُتَدَاخِلَة مَع بَعْضُهَا الْبَعْض ، وَبِفَهْم هَذِه الْعَلاَّقَة يَنْتج لَنَا أَنْوَاع جَدِيدَة لِفَّهُم الأحداث التّارِيخِيَّة وَتَفْسِيرَات أَكْثَر وَاقِعِيَّة ، بِأَنّ تتفوق النِّساء عَلِيّ أُخْرَيَات أَو حُتِّي عَلِّي الرجال لِمُجَرَّد اِنْتِمائِهِم لِطَبَقَة مُعِينَة أَو يَتَم تَصْنِيف عرْق مُحَدِّد اِجْتِمَاعِيّا فَتَكَوَّن الْمُفَاضَلَة وُفِّق فَهُم الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ وَتَرْتِيبَة هَذَا بِحَدّ ذاتَة يسمح لَفَّهُم مَوْضُوع الدَّرَّاسَة " الْحجاب " بِفَهْم أليَة تَطْبِيقَة خِلَال حُقُب الزَّمَنِيَّة وَذَلِك بِفَهْم السُّلْطَة وَالتَّقْسِيمَات الْمُجْتَمَع وَالدُّور الْجَنْدَرِي وَتَدَاخُلَات الْفِئَات الْمُخْتَلِفَة.

حَيْث أَنّ اذا كَانَت اعادة قِرَاءة التَّارِيخ تَشْكَل هَدَفا اكاديميا فان اعادة قِرَاءة التَّارِيخ مَن مَنْظُور التَّجْرِبَة النِّسَائِيَّة تَشْكَل أهداف أَكَادِيمِيَّة أَكْبُر وَأسَمِّي وَذَلِك الادخال النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ بطبقاتة الْمُخْتَلِفَة الْمُهَمَّشَة فِي الصِّيَاغَات التّارِيخِيَّة يَهْدِف إلي اعطاء تَفْسِير تَارِيخِي ثَقافِيّ وَاِجْتِمَاعِيّ لَا بَل حَتِي سِياسِيّ فان مَعْرِفَة التَّارِيخ دَائِما مَا يَرْتَبِط بِالْقُوَّة وَالسُّلْطَة السَّائِدَة وان عمْلَيَات التَّهْميش فِي التَّارِيخ تُطَال الْفِئَات الْمُخْتَلِفَة وَتُحَدِّد النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَالتَّمْيِيز بَيْنَهُم بِالْعُنْصُر وَالطَّبَقَة ، حُتِّي صارالتاريخ يَسْرُد وَالنُّصُوص الدَّيِّنَة تَصْدِر دُون الْإِلْتِفَاف لِلتَّجْرِبَة التّارِيخِيَّة لِتِلْك النِّساء ، فَالسُّلْطَة هُنَا لَا تَنْحَصِر فِي الْمَجَال السِّياسِيّ بَل هِي حُتِّي فِي الْعَلاَّقَات الْإِجْتِمَاعِيّ.

1-الدَّرَّاسَات السَّابِقَة

تَعَدَّدْت الْمصَادِر وَالْمَرَاجِع التّارِيخِيَّة وَالْفِقْهِيَّة ، وَكَذَلِك الْجَنْدَرِيَّة الْمُهْتَمَّة بِالنَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ الَّتِي تَسَلَّط الضَّوْء عَلَى مَوْضُوع حجاب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة ، لَمَّا لَهَا مَن أَهَمِّيَّة مَن حَيْث الْحَقَائِق أَو مَنْهَجِيَّتَهَا ، فَهِي تَوَفُّر لِلْبَاحِثِين الْكَثِير مَن الْمَعْلُومَات الَّتِي تُسَاهِم فِي كِتَابَة الْحَقِيقَة التّارِيخِيَّة.

---

[١٣] Shoemaker,R.Vincent ,M. Gander and History in Western Europe London:Arnold,1989)

[١٤] P.Fuller, Masculinity ,Emotion and Sexual Violence, in L.Morrise, E.S. Lyon Gender Relations in Public and Private, New Research Perspectives, (London: Macmillan 1996),p.228

كتَّاب أَحْكَام النِّساء[١٥] لِمُؤَلِّفِه الْإِمَام أَحْمَد بْن حَنْبَل (ت: ٢٤١ / ٨٥٥)، وَصَاحَب الْمذَهَّب الْحَنْبَلِيّ ، يَعُدّ هَذَا الْكُتَّاب جُزْءَا مَن كِتَاب آخَر وَهُو الْجَامِع لِعُلُوم الْإِمَام أَحْمَد ، عَن رِوايَة أَبِي بَكر الْخِلاَل ، يَحْتَوِي هَذَا الْكُتَّاب مَسَائِل مُهِمَّة خَاصَّة بِالْمَرْأَة.

كتَّاب رَسَائِل الْجاَحِظ [١٦]، لِكَاتَبَه عَمْرو بْن بَحْر بْن مَحْبُوب الْمَشْهُور بِالْجاَحِظ (ت: ٢٥٥ / ٨٦٨)، أَصْل هَذَا الْمُصَنِّف هُو مَجْمُوعَة مَن رَسَائِل الْجاَحِظ الأدبية النَّادِرَة ، وَقَد قَسَمَهَا الْمُحَقِّق أَبُو مُلْحِم إِلَى ثَلاثَة أَجْزَاء حُمِلْت عَنَاوِين مُخْتَلِفَة ، وَهِي الرَّسَائِل السِّياسِيَّة وَالْكَلامِيَّة والأدبية ، وَيَعْتَبِر كتَّابُه مُصْدِرَا قيما لَفَّهُم عَقْلِيَّة الْجاَحِظ أَوَلَا ، وَبَوَّابَة لِفِّهِم الْعَصْر الْعَبّاسِيّ ثَانِيَا الَّذِي شَهِدَه الْكَاتِب. لَعَلّ مَا يُعَنِّينَا مِنْه رِسَالَة الْقِيَان الَّتِي تَنَاوُل فِيهَا وَصُف الْجواري وَالْقِيَان ، وَآرَاءَه فِي الْمَرْأَة.أَمَّا فِيمَا يَخُصّ الْمَرَاجِع ، فَقَد وَجَدَنَا الْعَدِيد مَن الْمُؤَلِّفَات الَّتِي اِهْتَمَّت بِالْمَرْأَة وَأَحْوالَهَا فِي التَّارِيخ الْإِسْلامِيّ ، كُتَّاب نَظِيرَة زِيَن الدِّين تَحْت عُنْوَان السَّفُّور وَالْحجاب [١٧]، الَّذِي اِهْتَمَّت بِه الْكَاتِبَة الَي تَفْسِير الايات الْقِرانِيَّة الَّتِي تَخُصّ النِّساء وَدَرَّاسَتُهَا دَرَّاسَة مَنْهَجِيَّة وَعِلْمِيَّة كَمَوْضُوع الْحجاب وَالطَّلاَق وَتَعَدَّد الزَّوْجَات وَقَد شَرَحْت فية الْكَاتِبَة حَوْل مَوْضُوع الْحجاب واسبابة وابدت الاراء الْمُخْتَلِفَة فية وَنَاقَشْت الراي الشَّرْعِيّ وَكَانَت اول اِمْرَأَة تَقْدُم الدَّرَّاسَات التُّراثِيَّة وَتَجَادُل فِيهَا جُمْلَة مَوْضُوعَات تَتَّصِل بِالْحجاب ، حَيْث صَدْر كُتَّابِهَا عَامّ ١٩٢٨ ، بَعْدَهَا اِزْدَادَت الْكِتَابَات حَوْل مَوْضُوع الْحجاب ، خُصُوصَا مُنْذ أواخر الْقُرَن التَّاسِع عُشِر الْمِيلادِيّ.

---

[١٥] موطأ مالك، ص٣٧

[١٦] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب : رسائل الجاحظ الرسائل الكلامية، تحقيق: علي أبو ملحم ،بيروت: دار ومكتبة الهلال ٢٠٠٢

[١٧] زين الدين، نظيرة،السفور والحجاب: محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الإسلامي، مراجعة بثينة شعبان،ط٢،(دمشق:دار المدى،١٩٩٨)

كُتَّاب مَحْمُود سلام زناتي قُصَّة السَّفُّور وَالنِّقَاب وَاِخْتِلاط وَاِنْفِصال الْجِنْسِين عِنْد الْعُرْب[١٨] ، وَضَّح الزناتي فِي كِتَابَة عَن اِخْتِلاط الْجِنْسِين عِنْد الْعُرْب وَكَذَلِك نَاقَش اِحْتِجَاب النِّساء فِي الْجَاهِلِيَّة وَفِي عَصْر النُّبُوَّة وَيَرْجَح أَنّ الْحجاب مَا هُو الَا تقالِيد الاشورية وَقَد شُرِح بَعْض أَحْكَام خَاصَّة بِحجاب النِّساء ، حَيْث أَرْجَح فِي كِتَابَة أَنّ الْعَادَات الأشورية كَانَت تَمَيُّز بَيْن الْمَرْأَة الْمُتَزَوِّجَة وَالْمَرْأَة غَيْر الْمُتَزَوِّجَة ، حَيْث فَصْل الزناتي أَنّ الْحجاب كَان إعْلاَنَا عَن الْحالَة الْإِجْتِمَاعِيَّة للمرأة وَعَن تَبِعِيَّتِهَا الزَّوْجِيَّة ، وَذَكَر أَنّ هذة الْعَادَات الَّتِي اِنْتَقَلْت لِلْمُجْتَمَع الاسلامي بَعْد فُتَح بِلاد فَارِس.

كَذَلِك كُتَّاب جَدَلِيَّة الْحجاب : حِوَار عَقْلِيّ فِي فُرَّض الْحجاب وانكاره [١٩]، مُؤَلِّفُه صهيب مَحْمُود السقار ، اِهْتَمّ الْمُؤَلِّف بِأغْلَب الْكِتَابَات الْمُنَاوِئَة لِلْحجاب ، الَّتِي أَسْمَاهَا النَّقْد الْعَلْمَانِيّ. وَحَاوَل الرَّدّ عَلَيهَا إِمَّا بِالنَّصّ الدِّيِّنِي أَو بِالْأَحادِيث النَّبَوِيَّة أَو بِبَعْض الْآرَاء الاخرى الْمُنَاصِرَة لِفُرِض الْحجاب.

كُتَّاب تَحْرِير الْمَرْأَة ، لِلْكَاتِب قَاسَم أَمين (ت: ١٩٠٨)[٢٠]، فَقَد أَثَار هَذَا الْكُتَّاب ضجة كَبِيرَة ، نَظَرا لِتَنَاوَل الْكُتَّاب مَوْضُوع الْمَرْأَة بِصُورَة جَدِيدَة ، وَتَنَاوَل الْعَدِيد مَن الْمَوَاضِيع الَّتِي تَتَعَلَّق بِالْمَرْأَة ، كَمَا أَنَّه أَفَرُدّ فَصْلَا كَامِلَا لِلْحجاب ، وَلَعَلَّه مَن أوائل كُتَّاب الْعَصْر الْحَدِيث الَّذِين أَشَارُوا إِلَى الْحجاب وَتَارِيخَه.

[١٨] زناتي، محمود سلام،قصة السفور والنقاب واختلاط وانفصال الجنسين عند العرب،(القاهرة،دار البستاني لنشر والتوزيع،٢٠٠٢)

[١٩] السقار ،صهيب محمود: جدلية الحجاب حوار عقلي في فرض الحجاب وانكارة ،تحقيق :محمد العوضي، الكويت:أفاق،٢٠١٧

[٢٠] أمين:،قاسم تحرير المرأة (القاهرة: مؤسسة هنداوي٢٠١٢)

كُتَّاب الْحَرِيم السِّياسِيّ فَاطِمَة المرنيسي[٢١] ، حَاوَلْت المرنيسي فِي كُتَّابِهَا تَقْديم صُورَة جَدِيدَة لِتَارِيخ الْمَرْأَة فِي الْإِسْلام ، مُعْتَمِدَة عَلَى أَهَم الْمُصَادِر التُّراثِيَّة. وَقَد قُسِمْت الْكُتَّاب الى جُزْئِين : الْأَوْل بِعُنْوَان النَّصّ كَسِلاَح سِياسِيّ ، طَرَحْت فِيه مَوْضُوع ولِاَدَة الْحَديث وَالْأَحادِيث الْمُعادِيَة لِلنِّساء. وَالثَّانِي حمل عُنْوَان مُدِينَة فِي ثَوَرَة : السّنوات الْمَصِيرِيَّة الثُّلاث ، وَالَّذِي بَدَأْتِه بِفَصْل عُنْوَانِه الْحجاب ، حَيْث نَاقَشْت سِياق الْحجاب التّارِيخِيّ وَرَمْزِيَّتَه فِي التَّارِيخ الْإِسْلامِيّ ، عَارِضَة تَفْسِيرَات جَدِيدَة لِمَفْهُوم الْحجاب وَأَسْبَاب نُشُوئِه.

كتَّاب تَحْرِير الْمَرْأَة فِي عَصْر الرِّسَالَة[٢٢] ، عَبْدالحَلِيم أَبُو شُقَّة ، حَاوَل الْكَاتِب أَن يَجْمَع مَا يَسْتَطِيع مَن نُصُوص قرآنية وَأَحادِيث نَبَوِيَّة تَنَاوَلْت مَوْضُوع الْمَرْأَة ، مُعْتَمِدَا عَلَى صَحِيحِي مُسْلِم وَالْبُخَارِيّ. وَقدِم مَوْسُوعَتَه الشَّهِيرَة فِي سِتَّة أَجْزَاء ، وَمَا يُعَنِّينَا مِنْهَا الْجُزْء الرّابع ، لِذِي خَصَّصَه لِلبَاس الْمَرْأَة وَزِينَتِهَا.

٢-الْحجاب فِي اللُّغَة وَالْإِصْطِلاح

الْحجاب فِي اللُّغَة هُو السُّتُر ، وَالْمَرْأَة الْمَحْجُوبَة ، أَيّ مَن سَتَرَتّ بِالسُّتُر.[٢٣] اما فِي مُعْجَم لِسَان الْعَرَب أَتَى الْحجاب بِمُعَنّى " السِّتْر حَجَب الشيء يَحْجُبُه حَجْبا وَحِجابا وَحَجَّبَه سَتْرَه وَقَد اِحْتَجَب وَتَحَجَّب إِذَا اِكْتَنّ مَن وَراء حجاب وَاِمْرَأَة مَحْجُوبَة قَد سُتِرَت بِسِتْر "[٢٤] وَلَكِنّ قَد شَاع بَيْن النَّاس الرُّبُط بَيْن كَلِمَة الْحجاب وَتَغْطِيَة الرَّأْس فَقَطّ ، بَل وَأَصْبَح مَطْلُوبَا وَمَعْبَرا عَن الْهُوِيَّة

[٢١] المرنيسي،فاطمة :ما وراء الحجاب:الجنس كهندسة اجتماعية،ترجمة:فاطمة أزرويل(المغرب:المركز الثقافي العربي 2005)،ص١٢٣

[٢٢] أبو شقة ،عبد الحليم: تحرير المرأة في عصر الرسالة،ط٤ ،الكويت: دار القلم ١٩٩٥.

[٢٣] إبراهيم، رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ط١، لقاهرة : دارالأفاق العربية،٢٠٠٢ ،ص١٢٦.

[٢٤] ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ج١،لقاهرة:دار المعرف،٢٠٠٧،ص٢٣٠

الْإِسْلامِيَّة ، و رَمْزا إسلاميا [٢٥]، وَأَنّ اِقْتِصَار مَفْهُوم الْحجاب الْيَوْم عَلَى قطعة قُمَاش مَفْرُوضَة مَن الرَّجُل عَلَى رَأْس الْمَرْأَة هُو تَفْرِيغ لِمَعْنَاه.[٢٦]

وَلَكِنّ عَبْدالحَلِيم أَبوَشَقَة يَفْسِر الْحجاب اِصْطِلاحا ، وَهُو الشَّائِع لَدَى الْعَامَّة ، الَّذِي يراه يُخَالِف الْمُعَنّى الْوَارِد فِي الْقُرْآن.[٢٧] فَكَلِمَة حجاب الَّتِي وَرُدْت عَلَى سَبِيل الْمَثَّال " وَبَيْنَهُمَا حجاب "[٢٨] وَكَذَلِك فى سُورَة مَرْيَم " مِن دونِهِم حِجابا فَأَرْسَلْنَا" [٢٩] يَقْصِد بِهِمَا هُنَا فِي الآيتين ، الشَّيْء الَّذِي يَحْجِز بَيْن طَرِفين وَتَنْعَدِم الرُّؤْيَة فِيه ، وَلَا يَصُح أَن يَطْلُق هَذَا اللَّفْظ عَلَى اللِّبَاس الَّذِي أَيَا كَان نَوْع قُمَاشِه لَن يَمْنَع الرُّؤْيَة ، فَلَو غُطَّت الْمَرْأَة جَسَدِهَا وَرَأَسَهَا كُلُّه لَن تَحْجُب رُؤْيَة شَخْصِهَا. ذُكِرْت أُلْفَة يوسف فِي كُتَّابِهَا نَاقِصَات عُقُل وَدِين " الْحُجُب يَفْتَرِض غِيَابَا تَامًّا لِلْمَحْجُوب عَن الرُّؤْيَة "[٣٠]، كَمَا أَنّ الْحجاب الْوَارِد فِي سُورَة الْأَحْزَاب " فَاِسْأَلُوهُنّ مِن وَراء حجاب "[٣١] أَتَى بِمُعَنّى السُّتُر الَّذِي يَسْتَخْدِم فِي الْبَيْت ، وَيُفَصِّل بَيْن مَجْلِس الرِّجَّال وَالنِّسَّاء.[٣٢] فَكَمَا نرى أَنّ مُصْطَلَح الْحجاب يُعَانِي مَن عَدَم اِتِّفَاق سَواء فِي مَعْنَاه اللُّغَوِيّ أَو فِي مَا وَرْد فِي النَّصّ القرآني.

---

[٢٥] الحريم السياسي، ص١٢٣-١٢٤.

[٢٦] نفس المرجع، ص١٢١.

[٢٧] تحرير المرأة في عصر الرسالة ، ص٢٤.

[٢٨] سورة الأعراف "الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ " الأعراف :46-45.

[٢٩] " ذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّ "مريم :١٦

[٣٠] ناقصات عقل ودين في فصول حديث الرسول، ص١٤

[٣١] "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" الأحزاب:٥٣.

[٣٢] تحرير المرأة، ج٤، ص١٥-١٦.

٣- مَا بَيْن الْجِلْبَاب وَالْخَمَّار

إِحْدَى أُبَرِّز الصُّعُوبَات فِي مُحَاوَلَة تَتَبُّع تَطَوُّر مَفْهُوم الْحجاب فِي تَارِيخِه الْإِسْلامِيّ الْخلط بَيْن مَفْهُومي الْجِلْبَاب وَالْخَمَّار ، فَأَصْبَح الْحجاب الَّذِي جَاء فِي سِياق خاصّ وَمُخْتَلِف كَمَا سُبِق تَوْضِيحه ، مَعْبَرَا وَمُتَكامِلا مَع تَقْرِير أُمِرّ الْجِلْبَاب وَالْخَمَّار عَلَى النِّساء. بِالرَّغْم مَن أَنّ كِلَا الْأَمْرَيْن أَتَى فِي سِياق مُغَايِر كَمَا سيتبين ، وَهَذَا الْخِلْط كَذَلِك هُو مَا أَدَّى لاَحِقا إِلَى سُوء تَفْسِير الْحجاب وَرُبُطَه بِعزلة الْمَرْأَة وَفَصْلَهَا عَن الْحَيَاة الْعَامَّة. فَسُورَة الْأَحْزَاب الَّتِي ذُكِرْت أَمَرّ حجاب نِساء النَّبِيّ ، أَتَتّ كَذَلِك بِأَمَرّ الْجِلْبَاب لِلْحَرائِر مَن النِّساء. فَاتَّفَقْت رِوايات تَفْسِير الطَّبَرِيّ[٣٣] عَلَى أَنّ أَمَرّ الْجِلْبَاب فِي نَصّ الْآيَة " عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ "[٣٤] كان لِلتَّمْيِيز بَيْن الْمَرْأَة الْحُرَّة وَالْأَمَة ، وَكَان غَرَضُه حِمَايَة الْحُرَّة مَن التَّعَرُّض للإيذاء إِذَا مَا خَرَجْت مَن الْبَيْت ، فَيَعْلَم الْفَاسِق عَنْدَما يرى الْجِلْبَاب أَنَّهَا حُرَّة فَيَكُفّ عَن سُوئِه. وَلَكِنّ أَخْتَلِف أهْل التَّأْوِيل فِي شَكْل الْإِدْناء ، فَفِي رِوايَة اِبْن عُون أَن تَتَقَنَّع الْحُرَّة بِرِدَائِهَا فَتَغُطِّي أَنْفَهَا وَلَا تَبْدِي إلا عَيْنَا وَاحِدَة ، أَمَّا رِوايَة اِبْن قَتادَة فَإِنّ الله أَخَذ عَلَى الْحُرَّة أَنّ تَقَنَّع حَواجِبَهَا ، وَلْتُعَرِّف نَفْسُهَا فَلَا تَتَعَرَّض لِلسُّوء الَّذِي تَتَلَقَّاه الْأَمَّة[٣٥] ذُكِرْت أُلْفَة يوسف أَنَّه وُورِد عِنْد اِبْن كَثِير " أَنّ الْجِلْبَاب هُو الرِّدَاء الَّذِي يُوَضِّع فَوْق الْخُمَار ، وَهُو أَمَرّ خاصّ بِحَرائِر النِّساء لِشَرَّفَهُنّ وَلَيَتَرَفَّعُنّ عَن صِفَات الْجَاهِلِيَّة وَصْفَات الْإِمَاء ".[٣٦] كَذَلِك ذَكَر " وَإِذَا رَأَوْا الْمَرْأَة لَا تَرْتَدِّي جِلْبَابا قَالُوا هَذِه أَمَّة فَوُثِّبُوا عَلَيهَا ".[٣٧] فَإِدْناء الْجِلْبَاب كَمَا وَضَحَه الْمُفَسِّرُون هُو أَدَاة لِلتَّمْيِيز بَيْن طَبَقَتَيْن مَن النِّساء ، طَبَقَة الْحَرائِر وَطَبَقَة الْإِمَاء ، غَرَضَه الْأَسَاسِيّ

---

[٣٣] الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١، ج١٩ ،القاهرة: دار هجر،٢٠٠١،ص١٨١-

[٣٤] "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ" الأحزاب :٣٣/٥٩.

[٣٥] " هي المرأة المملوكة خلاف الحرة. وتقول يا أمة الله كما تقول يا عبد الله". انظر: أنيس، ابراهيم و ومنتصر،عبدالحليم والصوالحي ،عطية : المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ص١٥٦.

[٣٦] يوسف، ألفة :ناقصات عقل ودين في فصول حديث الرسول (تونس: دارسحر للنشر٢٠٠٨)،ص٥٤.

[٣٧] نفس المرجع،ص٥٤.

حِمَايَة الطَّبَقَة الْأَوْلَى مَن الْأَذى ، وَفِي باطِنِه كَذَلِك تَجَاهُل لِلْأُخْرَى ، وَكَأَنَّه مَن الْمَسْمُوح إيذاؤهن. أَمَّا أُمِرّ الْخُمَار فَذَكَر فِي سُورَة النُّور " وَلْيَضْرِبْن بِخُمُرِهِنّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنّ "[٣٨] فَأَمْر اللّه الْمُؤْمِنَات أَن يَكْفُفْن أَنْظَارَهُنّ عَمَّا كَرَّه النَّظَر فِيه وَيَسْتُرْن عَوِرَتَهُنّ بِاللِّبَاس وَلَا يَظْهَرْن زِينَتَهُنّ لِلنَّاس[٣٩] ، وَعَلَيهُنّ أَن يُلَقِّين الْخُمَار عَلَى الشَّعْر وَالْعنق وَالْأَقْرَاط.[٤٠] كَمَا لَاحَظْنَا أيضا أَنّ أَمَرّ الْخُمَار كَان لِلْمُسَلَّمَات كَافَّة ، وَلَم يَرِد فِي الرِّوايات أَنَّهَا خَاصَّة بِطَبَقَة مُعِينَة. فَالْإِسْلام لَم يَبْتَدِع لِبَاسا ، مَن عِنْدَه ، وَإِنَّمَا كَمَا لُوحِظ مَن سِياق الْآيَة وَمَا ذَكَر فِي التَّفَاسِير أَنَّه عِدْل عَلَيهَا. وَإِنّ تُشَابِه غَرَض التَّعْدِيل بِالْجِلْبَاب وَالْخَمَّار فِي إِحْدَاث التَّمْيِيز ، إلا أَنَّه لَابد مَن الْإِنْتِباه إِلَى أَنّ الْأَوْل كَان خاصا لِلْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ الدَّاخِلِي ، وَالثَّانِي كَان ظاهِرَا لِلتَّفْرِيق بَيْن مُجْتَمَع الْجَاهِلِيَّة وَمُجْتَمَع الْإِسْلام.

٤- الْخَلْفِيَّة التّارِيخِيَّة :الْحجاب مَا بَيْن الأثار، عُصِر النُّبُوَّة وَالْخِلَافَة الرَّاشِدَة

أ : الْحجاب والأثار التّارِيخِيَّة

قَاسَم أَمين أُشَارّ فِي كُتَّابِه " تَحْرِير الْمَرْأَة " الى الدُّور التّارِيخِيّ لِلْحجاب ، الَّذِي لَم يَكِن خاصا فَقَطّ بِالْمُسْلِمِين ، وَلَكِنَّه عَادَة مَعْرُوفَة لَدَى غَالِبِيَّة الْأُمَم ، غَيْر أَنّ الْمُسْلِمِين اِسْتَحْسَنُوهَا وبالغو فِيهَا ، وَأَصْبَحْت مَن الْعَادَات.[٤١] وَكَان الْحجاب يَعِد غِطَاء لِلرَّأْس لَدَى الْمَرْأَة فِي الْجَزِيرَة الْعَرَبِيَّة الْقَدِيمَة و قَد خُمِرْت رَأْسَهَا بِه ، وَلَعَلّ الشّوَاهِد الآثارية الْمُكْتَشَفَة خُيِّر دَلِيل عَلَى ذَلِك ، فَهُنَاك

---

[٣٨] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ" انظر سورة النور: ٣١/٢٤.

[٣٩] قد وضح الطبري في تفسيره اختلاف الوارد في معنى الزينة الظاهرة، فقد قيل إنها الثياب وقيل إنها الوجه والكفان، وقيل هي الكحل والخاتم والأساور والوجه. انظر :تفسير الطبري، ج١٧، ص.٢٦٣-٢٥٦.

[٤٠] تفسير الطبري، ج١٧، ص.٢٦٣-٢٥٦

[٤١] تحرير المرأة،ص٣٨.

تِمْثال مَن جَنُوب الْجَزِيرَة الْعَرَبِيَّة يَظْهَر سَيِّدَة قَد لَبَسْت مَا يَسْتُر جَسَدَهَا كُلُّه وَأَلْقِت الْخُمَار عَلَى رَأْسِهَا. [٤٢]كَمَا أَنّ صُوَر النَّقْش الأشوري الَّذِي يُؤَرِّخ عَصْر الْمُلَّك تَجِلَّات بلاسر الثَّالِث الَّذِي يُعَوِّد لِلْقُرَن الثَّامِن قَبْل الْمِيلاَد (٧٤٤ – ٧٢٧ق. م)، أَظْهَرْت بِجَانِب الْكِتَابَة صُورَة لِإِمْرَأَة عَرَبِيَّة تُغَطِّي رَأْسَهَا بِالْخُمَار.[٤٣] كَذَلِك فِي مُدِينَة تَدْمُر ظَهِرْت جِداريَات تُصَوِّر نِساء مُحَجَّبَات تُعَوِّد تِلْك الْجِداريَات الَي سَنَة ١٥٠ – ١٣٧ ق. م[٤٤] مِمَّا يُدَلِّل عَلَى مُعَرَّفَة الْعُرْب لِغِطَاء الرَّأْس ، وَالْأَرْجَح أَنّ الْبِيئَة الْحارَّة وَالْقَاسِيَة كَانَت سَبَبا لِوِلاَدَة هَذَا النَّوْع مَن اللِّبَاس.[٤٥] كَمَا أَنّ حِمَايَة الرَّأْس لَم تَكِن خَاصَّة بِالنِّساء ، فَقَد لُبِس الرُّجَّال أيضا الْعَمَائِم ، فَقَد وُجِد تِمْثال يُعَوِّد تَأْرِيخه إِلَى الْقُرَن الْأَوْل قَبْل الْمِيلاَد لِرَجِل وَقَد غَطَّى رَأْسه بِالْعِمَامَة ، وَتُمّ الْعُثُور عَلَيه فِي الْجَوْبَة جَنُوب الْجَزِيرَة الْعَرَبِيَّة.[٤٦] وَقَد كُتِب الْعَدِيد حَوْل تارِيخِيَّة الْحجاب وَمِنْهُم مَحْمُود زناتي فِي كِتَابَة قُصَّة السَّفُور وَالنِّقَاب وَاِخْتِلاط الْجِنْسِين عِنْد الْعُرْب حَيْث يَنْفِي الزناتي اِحْتِجَاب النِّساء فِي الْجَاهِلِيَّة وَفِي عَصْر النُّبُوَّة وَيَرْجَح أَنّ الْحجاب مَا هُو الَا تَقالِيد الاشورية وَقَد عَثَر عَلَّي لَوْحَة طِينِيَّة فِي مُدِينَة أُشَوِّر الْقَدِيمَة نَقُشّ عَلَيهَا أَحْكَام خَاصَّة بِحجاب النِّساء[٤٧] كَذَلِك عُرِف الْحجاب لَدَى الدِّيانَة الْيَهُودِيَّة ، فَقَد حُرِم نَظَر الرَّجُل إِلَى كَعْب اِمْرَأَة غَيْر زَوْجَتِه ، أَو لُمِس يَدَهَا أَو حَتَّى الْحَديث مَعَهَا.[٤٨]

---

[٤٢] السناني، رحمة بنت عواد :"اللباس في الجزيرة العربية قبل الاسلام"، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، العدد٢٣ ، ٢٠١١، ٤٧-٦٢

[٤٣] اللباس في الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص٥٦.

[٤٤] جنيفر هيث ، الحجاب :نساء يكتبن حول تاريخة وتقاليدة وابعادة السياسية ، ترجمة ربيع وهبة (القاهرة:المركز القومي للترجمة،٢٠١٩)،ص54

[٤٥] اللباس في الجزيرة العربية قبل الإسلام،ص٥٥.

[٤٦] اللباس في الجزيرة العربية قبل الإسلام،ص٥٢

[٤٧] تطور المرأة عبر التاريخ، ص٤٧-٤٨.

[٤٨] أبو دية، أيوب :الحجاب في التاريخ،بيروت: دار الفارابي،٢٠١٢ ،ص٨٣. http://www.narjes-library.com/2015/05/blog-post.html ٦/ديسمبر/٢٠١٨

" تَحَجَّبْت الْمَرْأَة الْيَهُودِيَّة حَال حال الرومنيات والاغريقيات والزرادشيات ..... وَذَلِك ضِمْن ثَقَافَات كَثِيرَة كَان التَّحَجَّب فِيهَا مَيَّزَة للمرأة مَن الطَّبَقَات الْعُلْيَا طَالَمَا كَانَت مَحَلّ طَمُوح لَدَى نِساء الطَّبَقَات الْأَدْنَى "[٤٩] وَفِي الدِّيانَة الْمَسِيحِيَّة الَّتِي رُفِعْت قِدْر الْمَرْأَة ، وَأَرْجَعْت لَهَا الْعَدِيد مَن الْحُقوق الْمَسْلُوبَة ، كَان الْحجاب حاضِرًا. فَالْمَرْأَة لَا يليق بِهَا أَن تَصُلِّي لله وَهِي كَاشِفَة عَن شَعْرِهَا ، أَو أَن تَتَحَدَّث فِي الْكَنِيسَة.[٥٠] فيرى قَاسَم أَمين أَنَّه مَع اِنْتِشار الْإِسْلام وَاِعْتِناق أُمَم عَدِيدَة لِلدِّين الْإِسْلامِيّ ، وَاِخْتِلاط الْعَادَات.[٥١] غَيْر أَنّ اِسْتِعْمال الْحجاب كَمَا أَسْلَفَنَا عَادَة عُرْفِهَا الْعُرْب قَبْل الاسلام ، حَيْث إِنّ اِنْفِتاح الْمُسْلِمِين عَلَى الْأُمَم الآخرى سَاهِم فِي إِحْدَاث تَطَوُّر فِي مَفْهُوم الْحجاب ، لَكِنّ لَم يَقْتَبِسُوه مَن غَيْرَهُم ، حَتَّى اِنْه لَم يَكِن شَامِلَا لِلْجَمِيع ، وَلَكِنّ مَن دُون شَكّ أَنّ الْحجاب كَعَادَة ظَلّ يُعَمِّم وَيُوَطِّد اِسْتِعْمالَه مَع مُرُور الزَّمَن وَتُقُدِّم الْإِسْلام.[٥٢] وَقَد فُسِر أحَد الْبَاحِثِين مُظْهِرا أَنّ وِلَادَة الْحجاب ، الَّذِي أَصَلَّه الْفَصْل بَيْن الْجِنْسِين ، تَعَوُّد إِلَى عَصْر الصَّيْد ، عَنْدَمَا بَدَأ الرِّجَال تُجَنِّب النِّساء اللَّاتِي يَحُضُّنّ لِأَنَّهُنّ نَذِير شُؤْم وَنَجَاسَة ، فَعُزِلْت الْمَرْأَة وَتَخْفِت عَن الْأَنْظَار ، وَعُمّ الْحجاب مُجْتَمَعَات الصَّيْد وَتَوَارَثْتِه الْأُمَم مَن بَعْد.[٥٣] فِي حِين يرى الْبَعْض ، أَنّ أَصْل الْحجاب لَدَى الْعُرْب كَان مَن تَكْرار الْحُروب بَيْن الْقَبَائِل ، حَيْث تَقَع الْمَرْأَة غَنِيمَة ثَمِينَة ، فَكَان لِزَامًا عَلَى الرَّجُل أَن يَضَعَهَا فِي مَلْجَأ وَيُحْمِيهَا ، هَذَا مَن نَاحِيَة. وَمِن نَاحِيَة أُخْرَى فَإِنّ الْجَارِيَّة

---

[٤٩] جنيفر هيث الحجاب :نساء يكتبن حول تاريخة، ص ٥٥-٥٦

[٥٠] تحرير المرأة، ص٣٩.

[٥١] نفس المرجع،ص.١٦

[٥٢] موسى،سلامة : المرأة ليست لعبة رجل، القاهرة: مؤسسة هنداوي ٢٠١٢، ص٤٣.

[٥٣] https://www.hindawi.org/books/41726090/ ٥/أكتوبر/ ٢٠١٨.

أحوال المرأة، ص١٦-١٧.

كَان لِزَامًا عَلَيهَا أَنّ تَقَوُّم بِالْأَعْمَال الدُّونِيَّة الَّتِي تَتطَلَّب الظُّهور وَالْإِتِّصَال بِالْعَالِم الْخَارِجِي ، أَمَّا الْحَرائِر فُكِّنّ مُعْفَيَات مِنْه وَهَكَذَا وُلِّدْت فِكْرَة الْعزل.[٥٤]

وَلَكِنّ مَا نَجِدُه فِي شِبْه الْجَزِيرَة الْعَرَبِيَّة مَن تُشَابِه كَبِير بَيْن لِبَاس الْمَرْأَة وَالرَّجُل ، مِثْل تَغْطِيَة الشَّعْر وَسَائِر الْبَدَن ، يَجْعَلُنَا نَرْجَح أَنّ اللِّبَاس وَلِيد الْبِيئَة فِي أَصْلِه ، وَلَكِنّ مَع تَطَوُّر الْإِنْسان وَتَعَقُّدَه وَازْدِيَاد حاجَتِه إِلَى التَّعْبِير تَحَوَّل الْقُمَاش الَّذِي يَسْتُر بِه بُدْنَه إِلَى مُعَبِّر عَن اِنْتِمائِه الإجتماعي وَالدِّينِي وَالطَّبَقِيّ.

ب : الْحجاب مَا بَيْن عَصْر النُّبُوَّة وَالْخُلَفَاء الرَّاشِدِين

الْحجاب فِي عَهْد النَّبِيّ اِخْتَلَف عَن الْعُهُود الَّتِي تَلَّتَه ، حَيْث إِنّ حَدَث حجاب نِساء النَّبِيّ الْوَارِد فِي نَصّ الآيات[٥٥] نَال اِهْتِمَام الْمُؤَرِّخِين ، وَامْتَلَأْت الْمُصَادِر الْإِسْلامِيَّة بالإيضاح وَالتَّفْسِيرَات. فَقَد نَقِلّ لَنَا اِبْن سَعْد تَحْت " ذُكِر حجاب رَسُول الله نِساءَه "[٥٦] عَدَدًا مَن الرِّوايات الَّتِي تَفَصَّل حَدَث أُمِرّ الْحجاب [٥٧]، حَيْث إِنّ هَذِه الرِّوايات[٥٨] الَّتِي تَنَاقَلْتِهَا الْمُصَادِر التّارِيخِيَّة تَبّين لَنَا أَنّ نُزُول أُمِرّ

---

[٥٤]"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ "، الأحزاب:٥٣/٣٣

[٥٥]ابن سعد ، محمد: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر،ج١٠،القاهرة: مكتبة الخانجي ،٢٠٠١، ص١٦٦.

[٥٦]اصبح رسول الله عروساً بزينب دعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند النبي، فأطالوا عنده القعود، فقام رسول الله فخرج وخرجت معه حتى جئنا عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى دخل بيت زينب ، فإذا هم قعود فرجع ورجعت معه، حتى بلغ عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضربت بيني وبينه ستراً ونزل الحجاب" انظر كتاب الطبقات الكبير، ج،١٠ ص١٦٦. كذلك وفي رواية أخرى عن عائشة قالت: "كان أزواج رسول الله، يخرجن بالليل إلى حوائجهن بالمناصع فكان عمر يقول لرسول الله: احجب نساءك. فلم يكن يفعل. فخرجت سودة ليلة من الليالي، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة". حرصاً على أن ينزل الحجاب. انظر انظر كتاب الطبقات الكبير، ج،١٠ ص١٦٦.

[٥٧]واهتم عبدالملك الأندلسي في أن يذكر سنة وسبب نزول آية الحجاب و"إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ"التي كانت في ال سنة الخامسة للهجرة، وذلك أن عمر بن الخطاب كان يأكل مع الرسول ومعهم عائشة،

الْحجاب كَان حَدَثًا خاصا لِنساء النَّبِيّ [٥٩]، فَجَمِيع أَسْبَاب النُّزُول كَانَت خَاصَّة بِهُنّ. كَمَا قُدِم الطَّبَرِيّ تَفْسِيرًا حَوْل آيات الْحجاب أَنَّهَا خَاصَّة بِأَزْوَاج النَّبِيّ ، حَيْث فَسُرّ أَنّ عَدَم ذكَر " بِعَوَّلَتِهُنّ " بِالْآيَة وَذَلِك الأن لِهُنّ كُلُّهُنّ بَعْلًا وَاحِدًا وَهُو الرَّسُول ، عَلَى عَكْس آيَة النَّوَر ، قَال تُعَالَى : " وَلَا يُبْدِين زِينَتَهُنّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنّ أَو آبائِهِنّ أَو آباء بُعُولَتِهِنّ ".[٦٠] وَذَلِك أَنَّه خُطَّاب مَوْجِه لِلْعَامَّة ، فَلِكُلّ اِمْرَأَة زَوْج.

وَقَد أَوَرُدّ الطَّبَرِيّ فِي تَفْسِيرِه لِآيَة الْحجاب أَنَّهَا كَانَت فِي بَيْت أَم سلمة زَوْجَة النَّبِيّ حَيْث أُنْزِل أَمَرّ الْحجاب.[٦١] كَمَا أَوَرُدّ رِوايات تَتَشَابَه مَع مَا تَمّ ذكرُه سَالِفَا.[٦٢] لَعَلّ مَن الْمَلاَحِظ أَنّ الْحجاب هُنَا ظَلّ مَحْصُورًا فِي السُّتُر الَّذِي يُفَصِّل بَيْن حَيِّزِين وَلَيْس شيئا مَلْبُوسا ، إلا أَنَّه تَمّ تَعْمِيم اِسْتِعْمال السُّتُر عَلَى باقِي النِّساء. وَلَكِنّ عَبْدالحَلِيم أَبُو شُقَّة لَم يَفُتْه الْفِرْق ، وَرَفْض أَن يُعَنْوِن الْجُزْء الرّابع مَن مَوْسُوعَتِه بِحجاب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة ، معللا ذَلِك بِمُخَالِفَة الْمُصْطَلَح لِلْمُعَنّى الْوَارِد فِي الْقُرْآن وَالسَّنَة ، حَيْث تُشِير كَلِمَة الْحجاب الى الْحاجِز الْفَاصِل بَيْن طَرِفِين ، وَلَيْس لَه عَلاَّقَة بِاللِّبَاس

فأصابت يده يد عائشة فقال "لو أطاعني فيكن ما رأتكن عين (فقالت عائشة) وإنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ انظركتاب التاريخ، ص٩١.

[٥٨] إن ما جاء في مقدمات فرض الحجاب التي نقلتها كتب السنة،كما ذكرها أبو شقة في كتابة فهذا عمر بن الخطاب يقول للرسول: " يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله الحجاب." (رواه البخاري). هنا عمر يخاطب النبي، فلو كان الحجاب للنساء كافة لطلب من الرسول أن يحجبهن جميعاً. انظر تحرير المرأة،ج٣ ،ص٧٠-١٠١

[٥٩] تفسير الطبري، ط١، ج١٩ ،ص١٨٢

[٦٠] سورة النور ٣١/٢٤

[٦١] تفسير الطبري، ط١، ج١٩ ،ص١٨٢

[٦٢] انظرالاية" فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ " انظر سورة الأحزاب ٥٣/٣٣. في أن سؤال أزواج النبي، وحتى نساء المسلمين اللواتي لسن بأزواجكم، يكون من وراء ستر بينكم وبينهن، فذلك أطهر للقلوب لما تعرضه العيون وألا يكون للشيطان سبيلاً انظر تفسير الطبري، ج١٩ ص١٦٦

الشَّخْصِيّ.[٦٣] الْأَمْرّ الَّذِي أَكُدْتِه الْبَاحِثَة أُلْفَة يوسف[٦٤] الْإِسْلام لَم يُغَيِّر أَعْرَاف الْجَاهِلِيَّة فِي الْمُلَبَّس وَإِنَّمَا عدّل عَلَيهَا.[٦٥] إذ إنّ الْعَدِيد مَن النُّصُوص التّارِيخِيَّة خَارِج صَحِيحَي مُسْلِم وَالْبُخَارِيّ تُؤَكِّد خُصُوصِيَّة الْحجاب[٦٦] ، فَالرَّسُول كَان يَقْرَع بَيْن نِسائِه كُلَّمَا أَرَاد السُّفَر ، وَفِي إحداها خَرَج سَهْم عَائِشَة ، فَقَالَت " بعدما أُنْزِل الْحجاب فَكُنَّت أَحمَل فِي هَوْدَجِي وَأَنْزِل فِيه ".[٦٧] وَالْهَوْدَج مُرَكَّب يَسْتُر بِالثِّيَاب وَيُوَضِّع عَلَى ظَهْر الْبَعِير ، وَعَلَى عَكْس نِساء الْعَامَّة الْلَاتِي كَنّ يُشَارِكْنّ فِي الْجهاد وَيَغْنَمْنّ .[٦٨] فَعَنْدَمَا تُزَوِّج الرَّسُول بِصَفِيَّة بِنْت حَيِيّ كَان يَتَسَاءَل الْمُسْلِمُون هَل هِي مَن أُمَّهَات الْمُؤْمِنِين أَو مِمَّا مُلِكْت يَمِينَه ،" فَقَالُوا : إنّ حُجُبَهَا فَهِي مَن أُمَّهَات الْمُؤْمِنِين وَإِنّ لَم يَحْجُبْهَا فَهِي مِمَّا مُلِكْت يَمِينَه ".[٦٩] كَانَت السَّنَة الْخامسَة سَنَة اِضْطِرابَات وَخَسَائِر لِدَوْلَة الْمُسْلِمِين فَهُم هَزَمُوا فِي أحَد فِي السَّنَة الثَّالِثَة لِلْهجرة الَّتِي هُزَّت جَيْش الْإِسْلام. ثُمّ حَدَث تَحَالُف الْمَكِّيِّين مَع عُدَّة قَبَائِل لِغَزْو الْمُدِينَة فَمِن الْمَعْلُوم أَنّ السُّورَة الَّتِي أَنْزُل فِيهَا الْحجاب كَانَت تَحَمُّل اِسْم الْأَحْزَاب الَّتِي تَعِنِّي تَحَالُف الْقَبَائِل وَكَانَت تَصُفّ مَعْرَكَة الْخَنْدَق فَالدَّوْلَة الْمُدِينَة كَانَت تَعِيُّش فِي قَلَق حَرْبِي لَم يَنْتَهِي إلا بِفُتَح مَكَّة فِي السَّنَة الثَّامِنَة لِلْهجرة.[٧٠] فِي حِين كَان الْعَالِم الْخَارِجِيّ لِلْمُسْلِمِين قَلِقا لَم يَكِن الْعَالِم الدَّاخِلِيّ لِمُجْتَمَع النُّبُوَّة بِأَقَلّ مِنْه توترا. فَعَلَى الرَّغْم مَن قُرُب

---

[٦٣] تحرير المرأة في عصر الرسالة ،ص٢٧.

[٦٤] ناقصات عقل ودين في فصول حديث الرسول،ص١٤.

[٦٥] نفس المرجع

[٦٦] فأسماء بنت النعمان قد تزوجها المهاجر بن أبي أمية ابن المغيرة بعد وفاة الرسول فأراد عمر أن يعاقبهما فقالت " والله ما ضرب علي الحجاب ولا سميت أم المؤمنين" فكف عنهما انظر تحرير المرأة،ج٣ ،ص٧٠-١٠١

[٦٧] نفس المرجع

[٦٨] في اعتزال أمهات المؤمنين مخالطة الرجال في الحج، فقد أذن عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها لزوجات الرسول في الحج معه، وبعث معهمن عثمان بن عفان وعبدالرحمن. وكان عثمان ينادي ألا يدنو منهمن أحد أو ينظر، وكن على هوادج في الأبل.انظر الحريم السياسي،ص١١٧

[٦٩] تحرير المرأة،ج٣ ص٧٠-١٠١.

[٧٠] فاطمة المرنيسي، *الحريم السياسي* ،ص١١٦-١١٧

الرَّسُول وَعَلاَّقَتَه الْحَمِيمِيَّة مَع جِيرَانِه وَطَبِيعَة بَساطَة حُجْرَات بَيْتِه وَانْفِتاحَهَا عَلَى عَامَّة الْمُسْلِمِين. فَقَد كَان مُنْزَل الرَّسُول مُعِدّ لِاسْتِقْبال كَافَّة الْمُسْلِمِين مِمَّا أُعْدِم الْحَيِّز بَيْن حَيَّاتِه الْخَاصَّة كَالْزَّوْج وَحَيَّاتُه الْعَامَّة كَنَبِيّ صَاحِب رِسَالَة.[٧١] وَكَانَت فِي ذَات الْوَقْت اِهْتِمَامَات الرَّسُول مُوَزِّعَة بِالتَّسَاوِي بَيْن حَيَّاتِه فِي حُجْرَتِه الْخَاصَّة وَحَيَّاتُه خَارِجِهَا وَهَذَا الاصرار مَن قُبَلِه عَلَى الانصاف سَوْف يَسْتَخْدِم ضِدَّه مَن قَبْل مُعارِضِي الْمُدِينَة. حَيْث مَرَّت الدَّوْلَة النَّبَوِيَّة بِأَزْمَات عَصَفَت فِي دَاخِلِهَا فِي سنوات الرّابعَة وَالْخامسَة وَالسّادسَة مَن الْهجرة.[٧٢]

وَقَد فَصَلْت المرنيسي[٧٣] فِي إِشْكالِيَّة التَّدَخُّل فِي حَيَاة الرَّسُول الْخَاصَّة بِالْعَامَّة ، الَّذِي سَبَّبَه الْفَنّ الْمِعْمَارِيّ النَّبَوِيّ ، حَيْث كَانَت حُجْرَات زَوْجَات الرَّسُول مُتَّصِلَة وَمَفْتُوحَة عَلَى الْجَامِع النَّبَوِيّ ، مِمَّا جَعَل لِلنِّساء نَصِيبا فِي صِيَاغَة مُطَالِب سِياسِيَّة وَحَتَّى مُعارِضَة لِلْإِمْتِيازَات الذكورية ، رَغَم سَيْطَرَة النّظام الذَّكورِي فِي ذَلِك الْمُجْتَمَع. إِنّ مَا أَوضحتَه المرنيسي مَن أَنّ النِّساء طَمَحْن لِحُدوث تَغْيِير فِي أَوْضَاعِهِنّ مَع الدِّين الْجَديد ، حَيْث إِنّ النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ هُنَا كَمَا فَسَرْتِه سكوت [٧٤]كَان مُقَاوِمَا فِي مُجْمَل الْأَحْدَاث ، غَيْر أَنّ اِسْتِحْضَار مَفْهُومَي العنصروالطبقة فِي النّظام الذَّكورِي أُوجِد مُقَاوِمَة مَن جِهَة الرُّجَّال. فَفِي مَوْضُوع الدِّرَّاسَة وَجَدْت هذة الْمُقَاوِمَة الذكورية بِشَتَّى الطُّرُق خُنِق الْبُعْد الْإِسْلامِيّ فِي الْمُسَاوَاة بَيْن الْجِنْسِين (النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ) فِي مَوْضُوع الْحجاب. وممي زاد الاحداث التّارِيخِيَّة سُوء فِي قَضِيَّة عزل النِّساء هُو مَا شَكْل ضَغْطًا إِضافِيًا وُصُول الدَّوْلَة النَّبَوِيَّة لِحافَّة حَرْب أَهْلِيَّة وَتَرْسِيخ عَدَم الْأَمَان فِي أَزِقَّتِهَا فَلَم يَكِن لِأَيّ اِمْرَأَة كَانَت أَن تَتَجَوَّل دُون

---

[٧١] المرجع نفسه،ص١٢٧-١٢٨

[٧٢] فاطمة المرنيسي، *الحريم السياسي*، ص١٣٣

[٧٣] الحريم السياسي ،ص٢١٩.

[٧٤] " النوع: مقولة مفيدة في التحليل التاريخي"، ص٣٥-٦٢.

مُضَايِقَة.[٧٥] فَأَصْبَح الْمُجْتَمَع فِي صِراع بَيْن مُجْتَمَع تَتِمُّكُنّ نِساءَه مَن التَّحَرُّك فِي حَرِيَّة وَتَسْتَمِدّ الرَّقابَة الْإِجْتِمَاعِيَّة او الافتاء فِي قَضِيَّة الْعزل.

لَقَد كَان النَّبِيّ وَصَحَابَتَه يَلْتَقُون بِالنِّساء مَن الْعَامَّة مَن دُون حجاب ، سَواء فِي الْمَجَالَات الْعَامَّة أَو الْخَاصَّة [٧٦]، لَعَلّ اِخْتِلاَف الْبُعْد اللُّغَوِيّ كَذَلِك لِكَلِمَة " الْحجاب " عَن الْبُعْد الْإِصْطِلاحِيّ لَه خُيِّر مُؤَشِّر عَلَى ذَلِك ، فَمَفَاهِيم الْحجاب مُتَعَدِّدَة بَيْن سُتُر الْبَيْت وَعُزِل الْمَرْأَة وَقطعة الْقُمَاش، وَمَن هُنَا يَأْتِي دُور هَذَا الْبَحْث فِي مُحَاوَلَة رُصَّد التَّطَوُّر وَالتَّحَوُّل اللَّذَيْن طرآ عَلَى مُعَنّى الْحجاب وعلاقتة بِالنَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَتَوْظِيف مَا سَمُّي بِالثَّالُوث الْمُقَدّس وَهُو اِرْتِبَاط دَرَّاسَة النَّوْع بِالطَّبَقَة وَالْعُرْق وَالْعُنْصُر فِي قِرَاءة وَتُتَبِّع أبرز أَحْدَاث الْحجاب التّارِيخِيَّة لِلْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ فِي العصرالأموي وَالْعَصْر الْعَبّاسِيّ الْأَوْل. قَد نَتَّفِق مَع المرنيسي فِي أَنّ اِقْتِصَار مَفْهُوم الْحجاب بِمَا أَسْمَتْه الْحجاب الْمَادِّيّ[٧٧] وَإِهْمَال فِي الْحُقّ التّارِيخِي لِهَذَا الْمَفْهُوم الَّذِي يَعُدّ بَوَّابَة لِتَصْوِير وَاقِع الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة ، فَمُؤَسِّسَة الْحجاب ، عَلَى حَدّ تَعْبِير المرنيسي ، اُسْتُمِدَّت مَن الآيات الَّتِي تُمّ ذَكَر الْحجاب بِهَا. فَالتَّطَوُّر الَّذِي شَهِدَه مَفْهُوم الْحجاب مُنْذ عَهْد الْخُلَفَاء الرَّاشِدِين ، وَحَتَّى عَهْد التَّابِعِين ، والأهم التَّجْرِبَة النِّسَائِيَّة ، أَمَرّ يَسْتَحِقّ الْوُقُوف عِنْدَه. فِي خِلاَفَة عُمَر بْن الْخُطَّاب

(١٣ – ٢٤ / ٦٣٤ – ٦٤٤)[٧٨]، اِخْتَلَط غَرَض أُمِرّ الْخُمَار ، وَهُو التَّفْرِيق بَيْن الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلام ، بِالْجِلْبَاب الَّذِي هَدَفَه التَّمْيِيز بَيْن نِساء الْمُجْتَمَع الْوَاحِد. وَقَبْل التَّفْصِيل فِي ذَلِك نشير

[٧٥] فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي. ص٢١٩

[٧٦] فعن عبدالله بن عباس قال: "كان الفضل رديف رسول الله فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر. انظر الحريم السياسي ،ص ٢٠٨ . إن أمرا لاحتجاب لم يشمل بنات الرسول أيضاً، ففاطمة حضرت المباهلة– التي دعي إليها رؤوس وفد من نجران من النصارى قدموا للرسول فدعاهم للملاعنة فواعدوه في الغد ولم يأتوا– دوناً عن نساء النبي اللاتي فرض عليهن الحجاب. انظرالحريم السياسي ،ص ٢٠٨.

[٧٧] الحريم السياسي. ص ٢١٩.

[٧٨] الطبقات، ج٣، ص٢٤٥–٣٣٨.

إِلَى أَنَّه وَرْد عِنْد رُجْب إبراهيم فِي مُعْجَمِه أَنّ مَن ضِمْن مَعَانِي الْجِلْبَاب هُو الْخُمَار[٧٩] ، وَذَلِك عَكْس مَا وَرْد فِي التَّفَاسِير الَّتِي فَرِقْت بَيْنَهُمَا وَبَيْن أَهْدَافِهِمَا ، فَيُبْدُوا أَنّ تَوْحِيد مُعَنّى الْجِلْبَاب وَالْخَمَّار كَان لاَحِقًا لِحَدَث الْإِخْتِلاط بَيْن الْمَفْهُومِين. وَهَذَا أُمِرّ لاَبِد مَن الْإِلْتِفَات إِلَيه فِي تَجْرِبَة النِّساء لِمُمَارِسَة مِثْل هَذِه الْمَفَاهِيم عَبِر الْحُقُب الزَّمَنِيَّة لهذة الدَّرَّاسَة ، حَيْث سَوْف يُوَضِّح لَنَا كَيْف اِخْتَلَطْت الْمَفَاهِيم الثَّلاثَة (الْحجاب ، الْجِلْبَاب ، الْخُمَار) عَلَى الرَّغْم مَن اِخْتِلاَف سِياق اِسْتِخْدامِهَا فِي الآيات وَأَحْدَاث نَزُولُهَا. لَعَلّ

فترة خِلاَفَة عُمَر بْن الْخُطَّاب[٨٠] وَمَا نُقَل عَنْه فِي حِرْصِه عَلَى التَّمْيِيز بَيْن النِّساء ، كَانَا الْأَسَاس لِتَأْصِيل هَذَا التَّفْرِيق الطَّبَقِيّ ، فَقَد كَان يَضْرِب الْأُمَّة الَّتِي تَسْتَخْدِم الْخُمَار وَيَنْهَاهَا عَن التَّشَبُّه بِالْحَرائِر ، فَتَظْهَر الْأُمَّة كَاشِفَة عَن شَعْرِهَا.[٨١] وَأُنْكِر فَعَلّ جَارِيَّة اِبْنِه عَبْد الله الَّتِي رآها تَهَيَّأْت كَالْحَرائِر وَأُخِذْت تَمَشِّي بَيْن النَّاس.[٨٢] وَلاَبِد مَن الْإِشارَة إِلَى أَنّ الْحجاب فِي تِلْك الْفترة لَم يَرْتَبِط بِالْخُمَار بَل ظَلّ مَعْبَرًا عَن السُّتُر الَّذِي يَسْتَخْدِم فِي الْبَيْت ، حَتَّى أَنّ الْخَلِيفَة عُمَر اُسْتُخْدِم هَذَا اللَّفْظ فِي نَهْي عَامِلَة مُعاوِيَة بْن أَبِي سُفْيان عَن اِتِّخَاذ الْحجاب ، فَقَال : " مَن وَلِي مَن أُمُور الْمُسْلِمِين شيئا ثُمّ اِحْتَجَب عَنْهُم اِحْتَجَب الله عَنْه يَوْم الْقِيَامَة ". [٨٣] وَلَكِنَّنَا نَلْحَظ كَذَلِك اِسْتِعْمال الْخُمَار بَدَلًا مَن الْجِلْبَاب ، الَّذِي نَصَّت عَلَيه آيَة الْأَحْزَاب ، لِلْتَفْرِقَة بَيْن حَرائِر النِّساء وَإِمَائِهَا ، وَلَعَلّ ذَلِك يَرْجِع لِعُدَّة أَسْبَاب مُخْتَلِفَة. وَنَرْجَح اِسْتِمْرار عَدَم اِنْتِشارِه فِي وَقْت الْخَلِيفَة عُمَر بْن الْخُطَّاب. أَمَّا السَّبَب الثَّانِي فَكَان عَدَم جَوَاز تَغْطِيَة وَجْه الْمَرْأَة وَيَدِيهَا عِنْد أَدَائِهَا الْفَرَائِض مَن

---

[٧٩] المعجم العربي لأسماء الملابس، ط١،ص١٢٦.

[٨٠] هو الخليفة الثاني للدولة الإسلامية بعد الرسول محمد عليه السلام تميز عهده بالاستقرار والتوسع الجغرافي وامتد حكمه لعشر سنوات. انظرالطبقات، ج٣، ص٢٥٤-٣٤٩.

[٨١] ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم:مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، تحقيق: عبد الرحمن قاسم ومحمد عبد الرحمن ،ج١٥، السعودية :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤ ،ص ٢٧٢.

[٨٢] موطأ مالك، ص٩٨١.

[٨٣] الأندلسي، عبد الملك بن حبيب السلمي:كتاب التاريخ، اعداد: عبد الغني مستو،ج١،ط١،بيروت: المكتبة العصرية،٢٠٠٨،ص١١٣.

صَلاَة وَحَجّ ، مِمَّا سَاهِم فِي تَقْليل اِسْتِخْدام الْجِلْبَاب ، حَتَّى أَنّ الْفَقِيه الشَّافِعِي (ت: ٢٠٤ / ٨١٩) اُسْتُحِبّ لُبس الْمَرْأَة لِلْجِلْبَاب عِنْد أَدَاء الصَّلاَة فَتَضَعُه عَلَى خُمَارِهَا.[٨٤] فَنَلْحَظ أَنّ الْجِلْبَاب بَات مَن الْمُسْتَحَبَّات وَلَيْس مَن الْمُلْزِمَات للمرأة الْحُرَّة. وَالسَّبَب الثَّالِث هُو اِنْتِشار الْإِسْلام الْكَبِير وَتَوْحِيدَه لِلْجَزِيرَة الْعَرَبِيَّة فِي إِنْهَاء عَصْر الْجَاهِلِيَّة إِذَا اِنْتَهَت مَعَه الْحاجَة لِلتَّمْيِيز بَيْن الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ وَالْجَاهِلِي ، مِمَّا جَعَل الْخُمَار هُو عَلاَمَة لِلتَّمَيُّز بَيْن الطَّبَقَات الْإِجْتِمَاعِيَّة فِي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ الْحَدِيث النُّشُوء ، خُصُوصَا مَع كَثْرَة وُجُود الْجواري بَعْد حَرَكَة الْفُتُوحَات الْكَبِيرَة وَاِمْتِلاء الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَة بِهُنّ ، فَقَال عُمَر بْن الْخُطَّاب مَن مِنْبَرِه : " إِنّ الله قَد أَفَاء عَلَيكُم مَن سَبِّي الْأَعاجم مَا لَم يفء عَلَى رَسُول الله وَلَا عَلَى أَبِي بَكر مَن نِسائِهِم وَأَوْلاَدَهُم ، وَإِنّ قَد عَرَفْت أَنّ رجالا سيلهون بِالنِّساء فَمَن أَلَم بِاِمْرَأَة فَوَلَّدْت لَه ، فَلَا تَبِيعُوا أُمَّهَات أَوْلاَدِكُم ".[٨٥] فَأَصْبَح التَّفْرِيق بَيْن الْجواري وَالْحَرائِر ضَرُورَة ، وَلاَبد أَنّ نَعْي مَا لِلْحُرَّة مَن اِمْتِيازَات اِقْتِصَادِيَّة ، فَقَد رُفِض عُمَر سُؤَال رَجُل أُرَادُه أَن يَفْرِض لِوَلَّدَه مَالا ، بعدما أَنّ عَلْم أَنَّه مَوْلُود مَن أُمَّة ، وَقَال " إِنَّمَا هُو عَبْدُك وَإِنَّمَا أُمَّة أَمَتُّك ".[٨٦] فَتَشَدَّد عُمَر بِرَفْض الْإِشْتِباه بَيْن الْحَرائِر وَالْإِمَاء ، وَهَذَا نَاجِم أَوَلَا عَن اِخْتِلاَف حُقوقِهِنّ الْإِقْتِصَادِيَّة وَالْإِجْتِمَاعِيَّة فِي مُجْتَمَع الْإِسْلام الْأَوْل ، حَتَّى أَنّ الدِّيوان الْمَالِيّ قَام عَلَى أساس قَبَلِيّ ، فَكُتِب النَّاس عَلَى أَنْسَابِهِم وَفُرِّض لِهُم الأعطيات مَن مَال الْمُسْلِمِين عَلَى حَسْب فُضُلِهِم وَتَقَدُّمَهُم بِالْإِسْلام.[٨٧] وَلَعَلّ هَذَا الْإِخْتِلاَف فِي التَّعَامُل مَا بَيْن النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ الْوَاحِد وَهُنّ النِّساء فِي الْمُجْتَمَع الاسلامي الْأَوْل مُتَأَثِّرًا بِعَادَات أَشُورَيَة اِنْتَقَلْت الَي الْعُرْب وَالْمُسْلِمِين عَن طَرِيق اِقْتِباس الْفَرَس لهذة الْعَادَات حَيْث أَرْجَحِهَا زناتي[٨٨] أَنّ الْعَادَة الأشورية كَانَت تَمَيُّز بَيْن الْمَرْأَة الْمُتَزَوِّجَة وَالْمَرْأَة غَيْر الْمُتَزَوِّجَة وَبَيْن الْمُومِس الْعَادِيَة ، حَيْث ان الْحجاب

---

[٨٤] كتاب التاريخ، ج٣،ط١، ص٢٠٣

[٨٥] أخبار المدينة المنورة، ج٢، ص٢٨٩

[٨٦] نفس المرجع،ص٢٨٨

[٨٧] كتاب الطبقات، ج٣، ص٢٦٢ .

[٨٨] زناتي،قصة السفور،ص٧٠

كَان إعْلاَنَا عَن الْحالَة الْإِجْتِمَاعِيَّة للمرأة وَعَن تَبعِيَّتِهَا الزَّوْجِيَّة وَكَانَت هذة الْعَادَة تُمَيِّز بَيْن الْحَرائِر فِي الْمُجْتَمَع الأشوري ، وَنَاتِجَة عَن تَقْسِيمَات اِجْتِمَاعِيَّة ، وُصِّل الْحِرْص عَلِيّ التَّفْرِقَة بَيْن الْأَمَة وَالْحُرَّة الَي حَدّ تَوْقِيع عُقُوبَات قَاسِيَة مَن يرى أُمَّة مُحَجَّبَة فِي الطَّرِيق مُرْتَدِّيه حجاب يَقْدُمُهَا لِلْقَصَر لِتَلُقِّي جِزَاءَهَا[٨٩] يَذْكُر الزناتي أَنّ هذة الْعَادَات الَّتِي اِنْتَقَلْت لِلْمُجْتَمَع الاسلامي بَعْد فُتَح بِلاد فَارِس كَان لَهَا الدُّور فِي شيوع مَوْضُوع عزل وتحجيب النِّساء دَاخِل الحرملك وَهُو مَا أَثِر عَلَّي الْمُجْتَمَع الْعَبّاسِيّ عَلِيّ وَجْه الْخُصُوص[٩٠] وَأَصْبَح الْمُجْتَمَع فِي صِراع بَيْن مُجْتَمَع تَتَمَكَّن نِساؤُه مَن التَّحَرُّك فِي حَرِيَّة وَتَسْتَمِدّ الرَّقابَة الْإِجْتِمَاعِيَّة أَو الافتاء فِي قَضِيَّة الْعزل ، ان تَرْسِيخ مَبَادِئ السُّلْطَة الْأبويَة فِي الْأَذْهَان فِي تفسيرالحجاب وَإِسْتِخْدامَه كَأدَاة لِعُزِل مَن يراه النّظام الْأبوي مَهْمَا لِعَزَلَه فِي ذَلِك الْوَقْت كَعزل الْحُرَّة وَتَنْشِيط النّظام الذَّكورِي كَنظام حِمَايَة للمرأة.

5-الْعَصْر الْأُمَوِيّ : الْحجاب وَالطَّبَقَة الْعَرَبِيَّة

إنّ دَرَّاسَة الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ وَالتَّرْكِيبَة الْإِجْتِمَاعِيَّة فِيه تُسَاعِد فِي فَهُم النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَتَحْدِيد الْفِئَات الْمُهَمَّشَة. أَنّ تَكَوُّن مُسْلِما عربيا مَن قَبَائِل الْأَنْصَار قَد يَفْرِق عَن أَنّ تَكَوُّن مُسْلِما عربيا مَن قَبَائِل الْيَمَن ، وَالَّذِي بِالتَّأْكِيد لَن يَتَسَاوَى مَع أَنّ تَكَوُّن مُسْلِما فارسيا مَمْلُوكا. كَان هَذَا التَّفْرِيق بَيْن الْعَنَاصِر فِي الْمُجْتَمَع الْمُسْلِم عَمَلَا يُوَائِم الْعَصْر وحاجاته فِي وَقْتِهَا. فَهَذَا الْمُجْتَمَع قَلِيل الْخَبِرَة فِي السِّيَاسَة وَحَدِيث الْوُجُود ، قَد وَحُد أَرَاضِي شَاسِعَة نتجت عَنْه اِرْتِبَاكَات كَبِيرَة اجتماعيا واقتصاديا. فَالتَّرْكِيبَة السُّكّانِيَّة الضَّخْمَة وَالْمُتَعَدِّدَة الثَّقَافَات وَالْهُوِيَات تَجْعَل التَّمْيِيز بَيْنَهَا وَسِيلَة طَبِيعِيَّة لِتَسْهِيل التَّعْرِيف وَالتَّعَامُل مَن قَبْل السُّلْطَة الْجَدِيدَة ، الَّتِي حَصِرْت فِي الْمُسْلِمِين الْعَرب كَوَّنَهُم الْفَاتِحِين أَصْحَاب الرِّسَالَة الْجَدِيدَة لِلْعَالِم وَالْمُجْتَمَعَات الْمُغَايِرَة الْحَدِيثَة الدُّخُول فِي الْإِسْلام. وَلَكِنّ أيضا لَا يُفَوِّتْنَا أَنّ هَذَا التَّمْيِيز قَد وُلِّد نَتَائِج سَلْبِيَّة عَدِيدَة ، لَعَلَّهَا كَانَت أَحَد أَسْبَاب

[٨٩] زناتي،قصة السفور،ص٧٠

[٩٠] نفس المرجع،ص٧٤

سُقُوط الدَّوْلَة الْأُمَوِيَّة فِي الْقَرن الثَّاني لِلْهجرة. فَالْعُرْب وَبَعْد اِنْتِصارَاتِهِم عَلَى الْإمْبراطُورِيَات مَن حَوْلَهُم تَمَلُّكَهُم شُعُور السِّيادَة ، فَكَأَنَّمَا خَلِقُوا لِيَحْكُمُوا ، بَيْنَما خُلق الآخرون لِلْخدمة. [٩١]قَبْل الدُّخُول فِي تَفَاصِيل تَقْسِيم الْمُجْتَمَع الاسلامي بِشَكْل عَامّ والاموي وَالْعَبّاسِيّ بِشَكْل خاصّ ، لأبد مَن ايضاح نُقْطَة مُهِمَّة أَنّ فِي هذة الدِّرَّاسَة سَوْف تَسْتَخْدِم كَلِمَة طَبَقِه وَهُو مُصْطَلَح معاصريرتبط بِعَلْم الْاِجْتِمَاع بِشَكْل مُبَاشِر الا اِنْه يُرَادِف الْفِئَة أَو التَّدْرُج.[٩٢] ذكِر الْكَاتِب فَهمي سَعْد[٩٣] أَنّ الْقُرَشِيِّين شَكِلُوا طَبَقَة اراستقراطية فِي الْمُجْتَمَع الْجَاهِلِي وَلَكِنّ مَع الدَّعْوَة الاسلامية أُتِيح لَهَا إلْغَاء الْفَوَارِق الطَّبَقِيَّة الْمَبْنِيَّة عُلِّي أُسس نَبِل الدَّم وَالشُّرَّف وَالْمَال والجاة[٩٤] وَمَا لِبَثّ أَنّ أَتَى عصر الْفُتُوحَات حتي بَدَأْت حُقُب جَدِيدَة فِي تَقْسِيم الْمُجْتَمَع الاسلامي وَاِنْتَبَهْت الارستقراطية الْمَكِّيَّة الَي الدُّور الَّذِي مُمْكِن أَنّ تلعبة وَمَا أَنّ أَتَى بَعْد ذَلِك فِي الْعَصْر الْأُمَوِيِّين حُتِّي تَبَلْوَرْت مَفْهُوم الطَّبَقَات الْاِجْتِمَاعِيَّة وَالتَّحَيُّز لِلْعُنْصُر الْعَرَبِيّ دُون غَيْرَة ، وَمَن بِعُدَّة الْعَصْر الْعَبّاسِيّ الَّذِي عُرِف اِرْتِفَاع كَبِير فِي التَّغَيُّر لِتَرْكِيبَة السُّكّانِيَّة وَأَصْبَح الْمُجْتَمَع الاسلامي يَحْمِل مَا بَيْن طياتة اِخْتِلافا فِي الْعُرْق وَالْعُنْصُر وَالطَّبَقَة. اُسْتُخْدِم بَعْض الْمُؤَرِّخُون مُصْطَلَحَات نَاسَبْت الْمُجْتَمَع الاسلامي فِي اِسْتِخْدامِهَا لِتُعَرِّف عَلَّي تَقْسِيمَات الْمُجْتَمَع فِي ذَلِك الْوَقْت ، حَيْث قَدَم الفارابي (٣٩٩ / ١٠٠٨) كَلِمَة رُتْبَة وَطَائِفَة بَيْنَما لَجَأ الْعَامِرِي (٣٨١ / ٩٩١) الُي كَلِمَة صِنْف. لَكِنّ اِسْتِخْدامَنَا لِكَلِمَة طَبَقَة هُنَا يُنَاسِب فِي فَهُم النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ كَفِئَة اِجْتِمَاعِيَّة مُهَمَّشَة تَخْتَلِف فِي تَصْنِيفِهَا مَن طَبَقَة عُلْيَا وَطَبَقَة أَقَلّ وَكَذَلِك كَلِمَة عُنْصُر الَّتِي تَعْطِي تَفْسِيرا أَكْبُر الْاِسْتِخْدام بِالنَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ وَاِخْتِلاَف الْعُنْصُر فِي أَدَاء هَذَا الدُّور الْاِجْتِمَاعِيّ وَالثَّقَافِيّ الَّذِي حددتة المجتماعت الاسلامية أَنّ ذَاك.

---

[٩١] الدوري، عبد العزيز:العصر العباسي الأول، ط٤، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤)، ص١٧.

[٩٢] حول مفهوم الطبقة في العصر الحديث انظر غيث ،محمد ،قاموس علم الاجتماع ،(الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٥)،ص٤١٦

[٩٣] سعد ،فهمي ،العامة في بغداد:في القرنين الثالث والرابع الهجري،(بغداد:إتحاد الناشرين العراقين ،٢٠١٣)،ص ٥٩

[٩٤] سعد ،فهمي ،العامة في بغداد،ص ٥٩

حَيْث كَانَت الدَّوْلَة فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ عَرَبِيَّة الطَّابَع وَنُظِر الْعُرْب الَي غَيْرَهُم مَن أُهِلّ الْبِلاد الْمَفْتُوحَة نَظِرَة مَا يرى أَنَّه أَعَلَى قِدْرا حَيْث مَن دَخْل الاسلام فِيمَا بَعْد أُطْلِق عَلَيْهِم اِسْم الموالى ، تَنَوَّعْت الْأَجْنَاس وَالْعَنَاصِر وَالطَّبَقَات فِي هَذَا الْمُجْتَمَع الَّذِي اِحْتَوَى فِئَات اِجْتِمَاعِيَّة مُخْتَلِفَة وَبِطَبِيعَة الْحال هَذَا التَّبَايُن أَثِر عَلَّي الْمُهَمَّشِين بِشَكْل ملوحظ ، مِمَّا أثر طبيعيا عَلَى وَضْع النِّساء فِي هَذَا الْعَصْر كَفِئَة مُهَمَّشَة ، وَلَعَلّ التَّشْدِيد فِي التَّفْرِيق بَيْن النِّساء فِي فترة الْخِلافَة الْأُمَوِيَّة ، قَد ولّد استحقارا لِطَبَقَة الْجواري كَنَتِيجَة لِهَذَا التَّمايُز الطَّبَقِيّ ، فَمَع تَدَفُّق الْجواري عُلِّي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ وَجْدت أَصْنَاف عَدِيدَة لِلْجواري فَكَنّ بَعْضُهُنّ لِلْمُتْعَة وَمَحْظِيَّات وَخَادِمَات فِيت التَّمَيُّز بَيْنَهُنّ مَن جَمِيلا وَقَبِيحَات ثُمّ أُتِّي التَّصْنِيف الاخر بَيْنَهُنّ مَن حَيْث أَدَاء الْأَدَب وَالشَّعْر وَغَيْرَة ، أُتّ هَذَا التَّصْنِيف بِأَن يُكَوِّن هُنَاك اِخْتِلاَف بَيْنَهُم وَلَكِنْهُم ضَلُّوا يَعْبُرُون أَنّ طَبَقَة أُخَرِي أَنْزِل مَن طَبَقَة الْحَرائِر بِالتَّعَامُل معهم كَفِئَة مَن النِّساء أَيّ النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ الْمُتَمَثِّل بُدورَهُم كَنِساء لِهُم دُور اِجْتِمَاعِيّ وَثَقَافِيّ يَخْتَلِف وَلِهُنّ طَبَقَة اِجْتِمَاعِيَّة وَثَقَافِيَّة كَذَلِك مُخْتَلِفَة. فنرى مَثَلا ، وَعَلَى الرَّغْم مَن تَحْرِير عُمَر بْن الْخُطَّاب لِأُمَّهَات الْأَوْلاَد [٩٥]، أَنّ سُؤَّال بِيَعِهِنّ ظَلّ يَتَرَدَّد فِي مَجْلِس الْخَلِيفَة اِلْأَمُوي عَبْدالمَلِك بْن مروَان (٦٥ – ٨٦ / ٦٨٤ – ٧٠٥)[٩٦]، الَّذِي أُشْكِل عَلَيه هَذَا الْمَوْضُوع ، وَلَم يَحِل إلا بِإِجَابَة الْمُحْدِث اِبْن شِهَاب ، الَّذِي نُقِل حَديث سَعِيد بْن المسيب الَّذِي خَيَّرَه أُخُوَّتَه بَيْن حِصَّتِه مَن مِيرَاث وَالِدِه أَو تَحْرِير وَالِدَتِه الْأُمَّة ، فَعُرِض مُشْكِلَتُه عَلَى الْخَلِيفَة عُمَر بْن الْخُطَّاب ، الَّذِي حَلَّهَا بِتَحْرِير الْأُمَّة الَّتِي اِنْجَبْت مَن سَيِّدِهَا حال وفاتِه. [٩٧]كَمَا أَنّ كَثْرَة الْجواري سَاهَمْت فِي تَرَفُّع الْحُرَّات عَن الْأَعْمَال الْمَنْزِلِيَّة ، وَأَصْبَح كُلّ بَيْت مُسْلِم يَحْتَاج إِلَى خَادِم وَغَالِبِيَّتَهُم مَن الرَّقِيق الْمَجْلُوبِين مَن الشُّعُوب غَيْر الْإِسْلامِيَّة. فَابْن شِهَاب نَفْسُه الَّذِي نُقِل حَديث

---

[٩٥] أي من كانت جارية ولدت من سيدها ومملوكها ولد تسمي بأم ولد، تمتعت أم ولد بحقوق كثيرة فخفف عنها العمل وفي بعض الأحيان تعتق من العبودية اذا مات سيدها او اذا اعتقها هو بذاتة انظر ابن رشد بداية المجتهد ج٢ ص ٣٢٩-٣٣٠

[٩٦] الطبقات، ج٧، ص٢٢٣-٢٣٢.

[٩٧] أخبار المدينة، ج٢، ص ٢٩٠-٢٩١.

أُمَّهَات الْأَوْلاَد طَلِب مَن الْخَلِيفَة عَبْدالمَلِك بْن مروَان بَعْد إِجَابَتِه إِعْطَائِه مَالا وَخَادِمَة ، لِأَنَّه لَم يَتْرُك وَرَاءَه فِي الْبَيْت سِوَى أُخْتِه تَخْبِز وَتَعَجِّنّ.[٩٨] وَكَرْه كَذَلِك فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ تَزْوِيج أَبْنَاء الْإِمَاء حَتَّى لَو كَانُوا أَبْنَاء خُلَفَاء ، فَعَنْدَمَا خُطَب عبدالمَلِك بْن مروَان لِأَبْنَائِه مَن اِبْنَة أَحَدّ أَشْرَاف بُنِّي مَرَّة كَان الرَّدّ مَن الرَّجُل " إِنّ كُنَّت فَاعِلا فَجَنِّبَنِّي هجناءَك "[٩٩]، وَكَان يَقْصِد بِذَلِك اِبْنِه مُسْلِمَة كَانَت وَالِدَتُه غَيْر عَرَبِيَّة. لِذَلِك أُسْتُمِرّ تَأْكِيد اِخْتِلاَف الْأُمَّة عَن الْحُرَّة فِي الْعَهْد الْأُمَوِيّ. فَهَذَا الْإِخْتِلاَف لَيْس فَقَطّ فِيمَا ذَكَرَنَا سُلَفا ، بَل بِاِسْتِمْرار تَطْبِيق مَا كَان فِي عَهْد الْخِلاَفَة الرَّاشِدَة فِي التَّمْيِيز مَا بَيْن الْأَمَة وَالْحُرَّة فِي لُبس الْخُمَار ، عاتِكَة بِنْت يُزَيِّد بْن مُعاوِيَة بْن أَبِي سُفْيان ، وَهِي أَم الْبَنِين زَوْجَة عَبْدالمَلِك بْن مروَان وَأَم الْخَلِيفَة يُزَيِّد بْن عَبْدالمَلِك ، تَرْتَدِي الْخُمَار وَهِي الْحُرَّة ، حَيْث تَرْتَدِيه " تَضَع الْخُمَار أَمَام كُلّ بُنِّي أُمِّيَّة إِلا عُمَر بْن عَبْدالعَزِيز وَمروَان بْن مُحَمَّد "[١٠٠] دَلاَلَة عَلَى أَنّ هَذِه السَّيِّدَة الْحُرَّة تَرْتَدِي الْخُمَار لِطَبَّقْتِهَا وَتَضَعُه أَمَام بُنِّي أُمِّيَّة الَّذِين لَيْسُوا مَن مَحَارِمِهَا. فَلَم نَجِد بَيْن صَفْحَات كُتِب الْمُؤَرِّخِين هَذَا التَّأْكِيد بِلُبس الْخُمَار لِجَارِيَّة ، بَل الْعَكْس إِنّ حَدَث فَهُو أَمَرّ مُسْتَغْرَب. فَهَذَا الْخَلِيفَة عُمَر بْن عَبْدالعَزِيز (ت: ١٠١ / ٧١٩) يَكْتُب لِعَامَلَه بِحَظْر الْأُمَّة عَن لُبس الْخُمَار حَتَّى لَا تَتَشَبَّه بِالْحُرَّة [١٠١]، الَّتِي أُقْتُصِر عَمَلَهَا فِي الْخدمة وَتَقْدِيم الْمُتْعَة لِلرَّجُل ، وَظَلَّت الْحُرَّة حاصِدَة لِمَكَانَة أَعَلَى فِي الْمُجْتَمَع الْأُمَوِيّ ، فَهِي مُلْهَمَة الشُّعَرَاء ، الَّتِي أُقْتُصِر شَعْر الْغَزْل وَالْحَبّ عَلَيهَا.[١٠٢] وَلاَبِد مَن الْإِشارَة إِلَى أَنّ لِبَاس الرَّأْس عَلَى حَدّ الخصوص حَظِي بِاِهْتِمَام كَبِير عَلَى السَّواء لَدَى الرَّجُل وَالْمَرْأَة ، فُعَد تارِكه عَدِيم الرُّجُولَة ، وَتارِكَتُه مُتَّهِمَة

---

[٩٨] أخبار المدينة، ج٢، ص٢٩١.

[٩٩] الدرايسة ،وداد عوض:"الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٥٠م"، رسالة ماجستير، الأردن : جامعة اليرموك،١٩٩٤،ص١٦٠

[١٠٠] الصفدي، صلاح الدين :الوافي بالوفيات،تحقيق :حمد مصطفي،جز١٦،بيروت:دار احياء التراث،٢٠٠٠،ص٣١٥

[١٠١] كتاب الطبقات، ج٧، ص٣٧١

[١٠٢] الزعيم، أحلام : "المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في العصر العباسي"، الموقف الأدبي، العدد١٢٧ ،١٩٨٦،ص١٠٨

بِالْمُجُون.[١٠٣] فَقَد كَان الرَّجُل يَلْبِس الْعِمَامَة أيضا لِتَغْطِيَة رَأْسِه ، وَهُو لِبَاس الْعُرْب الْأَسَاسِيّ ، وَلَا يَصُح خُلْعَهَا إلا فِي وَقْت الْحُزْن وَالْغَضَب.[١٠٤] وَأَنّ التَّمْيِيز بِاللِّبَاس اِسْتَمَرّ عَلَى الْجواري ، وَشُمِل أَهْل الذِّمَّة كَذَلِك ، فَالْمُسْلِمُون وَمُنْذ أَوَّل فُتُوحَهُم شَرِطُوا عَلَى الْيَهُودِيّ أَن يَضَع خَيْطًا أَحْمَر أَو أَصْفَر عَلَى كُتْفِه ، وَالنَّصْرَانِيّ يَشِدّ فِي وَسَطِه زنارا [١٠٥]، وَعِنْدَمَا لَم يَلْتَزِمُوا بِهَذِه الشُّرُوط وَتَأَثَّرُوا بِلِبَاس الْمُسْلِمِين عَاد الْخَلِيفَة عُمَر بْن عَبْدالعَزِيز بِنُهَيِهِم عَن ذَلِك ، وَكُتُب لِعُمَّالِه " إنّ كَثِيرًا مَن النَّصَارَى قَد رَجَعُوا لِلُبِس الْعَمَائِم وَتُرِكُوا الْمَنَاطِق عَلَى أَوْسَاطِهِم ".[١٠٦] وَالْخَلِيفَة الْأَمُوي عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز[١٠٧] جُعَلَنَا نميل إِلَى أَنّ التَّفْرِقَة فِي الْمَلَابِس بَيْن فِئَات الْمُجْتَمَع كَانَت حَدَثًا مَعْمُولًا بِه مُنْذ خِلَافَة عُمَر بْن الْخُطَّاب ، حَيْث إنّ الْمُلَبَّس كَان وَسِيلَة التَّعَرُّف عَلَى هُوِيَّة الْأَفْرَاد وطبقاتهم فِي الْمُجْتَمَع. إنّ اِسْتِحْضَار الطَّبَقَة فِي الدِّرَّاسَة التّارِيخِيَّة هُنَا يُسَاعِد فِي كِتَابَة تَارِيخ يَشْمَل قُصَص الْمَقْهُورِين مَن نِساء لِكَوَّنَهُنّ " نَوْعًا إجتماعيا " حَدَّدَه الْمُجْتَمَع الْمُسْلِم فِي ذَلِك الْوَقْت وُفِّق مَوْرُوث ثَقَافِيّ أَو اِنْتِمائِهِم لِطَبَقَة مُحَدِّدَة فِي مُجْتَمَع مِثْل الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ ، مِمَّا يُسَاعِد فِي فَهُم الطَّبَقَات وَالنَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ عَلَى حَدّ سَواء فِي التَّارِيخ الْإِسْلامِيّ. حَتَّى أَنّ الْجواري كُنّ يَتَمَنَّيْن الْحُمَار حَتَّى يَكُنّ بِمَكَانَة الْحُرَّة. وَذُكِر مَالِك بْن دِينار ، الْمُتَوَفّى سَنَة ١٣٦ / ٧٥٤ ، أَنّ رَجُلا تُزَوِّج مَن جَارِيَّة قَد سُمْنَهَا أَبُوهَا كَأَنِّهَا الزُّبْدَة وَتَأْخُذ قُلَّبه ، أَيّ يُحِبُّهَا ، وَلَا يَرْفِض لَهَا طِلَب ، " فَيُقَوِّل لَهَا : أَيّ شَيْء تُرِيدِين ؟ فَتَقَوُّل : خِمَارَا "[١٠٨] فَالتَّفْرِيق بَيْن الطَّبَقَات وَالْفِئَات الْاِجْتِمَاعِيَّة ، كَمَا أَوْضَحَنَا ، كَان مَوْجُودَا فِي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ مُنْذ صَدْر الْإِسْلام. فَلَم يَكِن ذَلِك مُقْتَصِرا عَلَى جِنْس النِّساء ، كَمَا سَبَق أَنّ أَوْضَحْنَاه ، فَالْخُمَار هُو اِمْتِياز كَانَت تَشْعُر بِه الْمَرْأَة الْحُرَّة ، وَيَضُمّنّ

---

[١٠٣] الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ،ص١١٩.

[١٠٤] نفس المرجع، ص١١١-١١٠

[١٠٥] "هو خيط غليظ بقدر الأصبع من الأبريسم يشد على الوسط". انظر المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٢١٥ .

[١٠٦] الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ،ص١٤٨

[١٠٧] كتاب الطبقات، ج٧،ص٣٩٥ .

[١٠٨] الجوزي، جمال الدين : صفوة الصفوة،تحقيق: أحمد بن علي،ج.٢،القاهرة،دار الحديث،٢٠٠٠،ص١٦٣.

للمرأة حقوقا أَكْثَر ، وَحَاوَلْت الْأُمَّة الْمَسْلُوبَة أَن تَحْصِدَه مِرارا إِمَّا بِالتَّشَبُّه زُورًا بِالْحَرائِر ، أَو بِاسْتِعْمال أَساليب أُخْرَى فِي الْوُصُول إِلَى رُجَّال يَمْنَحُونَهَا مَكَانَة أَعَلَى ، وَلَعَلّ الْقَادَة وَالْخُلَفَاء كَانُوا الْمَطْمَع الْأَعْلَى. عَلَى سَبِيل الْمَثَّال اِرْتَفَعْت أسْعَار الْجواري الْلَاتِي يَجَدُّنّ الْغِنَاء ، وَوَصَّلْت إِلَى اِثْنَي عَشَر أَلْف دُرَّهُم ، وَيَذْكُرُنَا ذَلِك بِمَا حَصَدَتَه جاريتا الْخَلِيفَة يُزَيِّد بْن عَبْدالمَلِك حُبابَة وَسَلاَمَة مَن الشّهرة بِسَبَب أَصْوَاتِهِمَا الْجَمِيلَة الَّتِي زُيِّنْت مَجْلِس الْخَلِيفَة ، حَتَّى أَنَّه أُدْخِل عَلَيهُنّ الرُّجَّال لِسُمَّاعِهِنّ.[١٠٩] وَلَكِنّ اِنْتِشار الْجواري فِي الْحَقِيقَة لَم يَغْلِب عَلَى النّزعة الْعَصَبِيَّة الْعَرَبِيَّة فِي عَهْد بُنِّي أُمَيَّة ، فَلَم يَعْتَرِف بِالْمُسَاوَاة بَيْن الْعُرْب وَالْمُوَالِي ، سَواء كَانُوا مَعْتُوقِين أَو أحرارا. وَقَد أَوَضَحَت المرنيسي أَنّ النِّساء طَمَحْن إِلَى حُدوث التَّغْيِير فِي أَوْضَاعِهِنّ مَع الدِّين الْجَدِيد [١١٠]، حَيْث إِنّ النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ ، كَان مُقَاوِمَا فِي مُجْمَل الْأَحْدَاث ، غَيْر أَنّ اِسْتِحْضَار مَفْهُوم الطَّبَقَة وَالنّظام الذَّكورِي أُوجِد مُقَاوِمَة مَن جِهَة الرُّجَّال ، الَّذِين حَاوَلُوا بِشَتَّى الطُّرُق خُنِق الْبُعْد الْإِسْلامِيّ فِي الْمُسَاوَاة بَيْن الْجِنْسِين. وَمِمَّا زَاد الْأَحْدَاث التّارِيخِيَّة سُوءا فِي قَضِيَّة عزل النِّساء، وَشَكِل ضَغْطًا إِضافِيًا عَلَى وَضْع النِّساء الْمُهَمَّشَات فِي عزلِهِنّ حَتَّى عِنْد تَطْبِيق فِكْرَة السُّتُر وَالْحجاب لِكَوَّنَهُنّ مَن طَبَقَة أقل فِي ذَلِك الْمُجْتَمَع وَلَيْس فَقَطّ تَحْدِيد نَوْعِهِم الْاِجْتِمَاعِيّ كَوَّنَهُم نِساء اذا التَّمَيُّز حُتِّي بَيْن فِئَات الْمُهَمَّشَة فِي الْمُجْتَمَع عُلِّي أسَاس الطَّبَقَة. مثّل الْحجاب تَرَاجُعا رسميا عَن مَبْدَأ الْمُسَاوَاة الْاِجْتِمَاعِيَّة فِي تَطْبِيقِه إِذ مَيْز بَيْن الْمَرْأَة الْحُرَّة وَالْأَمَة فِي الدَّوْلَة الْأُمَوِيَّة ، وَوَضُع السّتار الَّذِي يُخَفِّي الْمَرْأَة الْحُرَّة (الْعَرَبِيَّة) دُون الْأُمَّة ، بَدَلًا مَن تَغْيِير الْعُقُول وَإِجْبَار الْمُسِيئِين عَلَى التَّصَرُّف بِشَكْل مُخْتَلِف ، كَي يَسْتَمِرّ بَعْد الْإِسْلام كَحَضَارَة ، لِذَلِك مَا لاحظناه مَن خِلَال الْأَحْدَاث أَنّ اِنْعِكاسَاتِه اِسْتَمَرَّت عَلَى الْفَرد وَالْمُجْتَمَع فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ ، كَمَا رَأَيْنَا أَنّ الْخُمَار أُعْتُبِر اِمْتِيازًا حَظِيت بِه الْحُرَّة الْعَرَبِيَّة غَالِبا فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ ، وَلَكِنّ لَم تَسْتَمِرّ عَلاَّمَة التَّمْيِيز لِمُصْلِحَتِهَا فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ. إِنّ اِسْتِحْضَار الطَّبَقَة فِي دَرَّاسَة مِثْل هَذِه الدَّرَّاسَة التّارِيخِيَّة يُسَاعِد

---

[١٠٩] الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ،ص٢٠٨

[١١٠] نفس المرجع ،ص٢٠٨

عَلَى كِتَابَة تَارِيخ يَشْمَل قُصَص الْمَقْهُورَات مَن النِّساء لكونهمن نِساء يَمْثِلْنّ نَوْع اِجْتِمَاعِيّ لَه دُوِّر مُحَدِّد وَفْق اطار وَضْعَه لَهَا مُجْتَمَعَاهَا فِي ذَلِك الْوَقْت أَو لِاِنْتِمائِهِنّ إِلَى طَبَقَة مُحَدِّدَة فِي مُجْتَمَع مِثْل الْمُجْتَمَع الاسلامي فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ ، مِمَّا يُسَاعِد فِي فَهُم الطَّبَقَة وَالنَّوْع عَلَى حَدّ سَواء. فَطَبَقَات الْجواري مَن النِّساء تَمُتّ مُعَامَلَتَهُنّ وَفْق شِقِّين ، نَوَّعَهُنّ كَوْنَهُنّ نِساء لِهُم دُور مُحَدِّد وَطَبَّقْتِهُنّ كَوْنَهُنّ مَن طَبَقِه اتبط وَضْعَهَا بِأَعْمَال مُحَدِّدَة اُعْتُبِرْت أَقَلّ رُتْبَة مَن الْحُرَّة لِذَا لَهَا اِعْتِبارَات خَاصَّة فِي مَسْأَلَة ارتدئها لِلْخُمَار أَو الْحجاب او ادخال وُفِّق مَفْهُوم السُّتُر وَالْحُجُب ، حَيْث إِنّ الْإِمَاء لَا يَعْزِلْن وَلَا يَتَغَطَّيْن وَفْق مَفْهُوم السُّتُر الْعَازِل الَّذِي يَحْجُب عَن أَنْظَار الرِّجَّال وَفْق مَا تَضَعُه الثَّقَافَة الذكورية ، أَمَّا بِالنِّسْبَة لِلْحُرَّة يَجُبّ حِمَايَة شُرَّفِهِنّ وَعِفَّتَهُنّ بِعزلِهِنّ وَالْمُحَافِظَة عَلَيهُنّ وُفِّق النّظام الْأبوي السَّائِد فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ ، فَالْحُرَّة الْعَرَبِيَّة يَجُبّ أَنّ تمّيز عَن الْأُمَّة لَيْس فَقَطّ بِإِعْطَائِهَا إِيجَابِيَات خَاصَّة بِهَا ، مِثْل اِنْتِساب أَبْنَائِهِنّ إِلَى مَنَصَّة الْخِلاَفَة وَغَيْرَهَا مَن الْمَنَاصِب ، بَل كَذَلِك فِي الْجانِبِين الْمَادِّيّ وَالثَّقافِيّ عِنْد عزلِهَا وَحُجُبَهَا.

٦ ـ الْعَصْر الْعَبّاسِيّ :التَّغْيِير فِي التَّرْكِيبَة الإجتماعية

لَا يُفَوِّت عَلَى أَيّ قَارِئ لِلتَّارِيخ أَنّ نجاح الْعَبّاسِيِّين فِي الْوُصُول إِلَى رَأْس خِلاَفَة الْمُسْلِمِين كَان فَاتِحَة لِعُصِر جَدِيد فِي التَّارِيخ الْإِسْلامِيّ.[١١١] وَالصَّحِيح أَنّ السِّيادَة الْعَرَبِيَّة لَم تَنْتَه بِسُقُوط بُنِّي أُمَّيَّة ، وَالْمَلاَحِظ عَلَى الدَّوْلَة الْعَبّاسِيَّة اِرْتِقَاء طَبَقَة الْمُوَالِي ، وَذَوَبَان الْفَرُوقَات الطَّبَقِيَّة بَيْن الْعُرْب وَغَيَّرَهُم مَن الْمُسْلِمِين " لَقَد كَانَت دَوْلَة بُنِّي عباس أممية إِسْلامِيَّة ، بَيْنَما كَانَت دَوْلَة بُنِّي أُمَّيَّة عَرَبِيَّة ".[١١٢] مَهْمَا يَكِن مَن صُعُوبَة تَحْدِيد هَيْكَلِيَّة الطَّبَقَات الْإِجْتِمَاعِيَّة فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ الا أَنّ ذَلِك لَم يَحِل دُون قِيَام نظام تَفْصِيلِي لِلْفِئَات الْإِجْتِمَاعِيَّة فِي ذَلِك الْعَصْر ذكر عَلِّي لِسَان يَحِي

[١١١] العصر العباسي الأول،ص٥١

[١١٢] نفس المرجع،ص٥٢

البرمكي وَزِيِّر الْخَلِيفَة الْعَبّاسِي الْخامس هارُون الرَّشيد الرَّشيد (١٧٠ – ١٩٣ / ٧٨٦ – ٨٠٨) اذ قَال يَحِي البرمكي " النَّاس أَرْبَع طَبَقَات مُلُوك قَدَمِهِم الْإِسْتِحْقَاق ، وُزَرَاء فُضُلِهِم الْفَطِنَة وَالرَّأْي وَعَلَيه أَنْهَّضَهُم الْيسار ، وَأَوْسَاط أَلْحَقُهُم بِهِم التَّأَدُّب ، وَالنَّاس بَعْدَهُم زُبَد وَجَفَاء ، وَسُيِّل غُثَاء ، لُكِع لُكَع ، وَرَبِيطَة أَقْضَاع ، هُم أَحَدُهُم طعمة وَنَوْمَة "[١١٣]

وَقَد أُوضِح مَن خِلَال مقولتة تِلْك أَنّ لَم يَكِن لِلْعَبّاسِيِّين نظام طَبَقِي قَائِم عَلِّي الدَّم وَالنُّبَّل بَل كَمَا ذُكِر فَهْمَي سَعْد فِي كِتَابَة الْعَامَّة فِي بَغْداد " إِنّ الطَّبَقَات الْإِجْتِمَاعِيَّة فِي بَغْداد خَضَعْت لِمَعَايِير مُخْتَلِفَة ، مِنْهَا مَا يُسْمَى الْيَوْم بِالْخَطّ الْمِهْنِيّ reerCa الَّذِي يسمح لِلْفَرد أثنا حَيَّاتُه الْعَمَلِيَّة بِالتَّقَلُّب فِي أَدْوار مِهْنِيَّة " [١١٤]وَفِي كُلّ هذة الْمِهَن الْمُقَدِّمَة لِلْمُجْتَمَع الْعَبّاسِيّ هَذَا التَّدْرُج والتكيز فَاكُنّ مِنْهُم الْمُتَطَوِّر فِي أدئة وَتَصْنِيفَة والاخر الْمُهَمَّش ، وَمِنْهَا الدُّور الْإِجْتِمَاعِيّ لِلرَّقِيق وَمِنْهُم الْجواري الْلَاتِي اخذن فِي الْإِزْدِيَاد فِي الْمُتَجَمِّع الْعَبّاسِيّ وَتَعَدَّدْت وَظَائِفَهُم وَمُسْتَوِيَاتِهِنّ فِي الْمُجْتَمَع. وَلَا شَكّ فِي أَنّ هَذِه التَّغْيِيرَات أَثَرْت عَلَى وَضْع الْمَرْأَة ، وَتَحْدِيدَا الْمَرْأَة الْحُرَّة الَّتِي حَصِر اِسْتِخْدام الْخُمَار بِهَا ، وَتَمّ فِي هَذَا الْعَصْر تَأْسِيس مَبَادِئ عزلِهَا ، حَيْث وَجَدْنَاهَا تزداد اِسْتِلابا ، وَتَقَوُّم بِدَوْرِين : أَحَدُهُمَا تُسْتَثْنَى مَن الْمُشَارِكَة وَالْوُجُود ، وَالْآخِر تَحْكَر فِي لُعَب دُور الدَّمِيَة ، الَّتِي تَعْتَقِد أَنّ وُصُولَهَا إِلَى النُّفُوذ مُكَّنَهَا مَن اِمْتِلاَك الْقُوَى.[١١٥] وَقَد وُصِّل أَبْنَاء الْإِمَاء إِلَى سُدَّة الْحُكْم ، وَلَعَلّ أبرزَهُم الْخَلِيفَة أَبُو جَعْفَر الْمَنْصُور (١٣٦ – ١٥٨ / ٧٥٤ – ٧٧٤) الَّذِي عُرْف بِالشَّدَّة وَالْبَأس[١١٦] و بَدَأ مَعَه أيضا تحسّن أَوَضَاع الْجواري الْلَاتِي كَثُرْن فِي بُيُوت الْخِلاَفَة

[١١٣] سعد ،فهمي ،العامة في بغداد،ص٦٩

[١١٤] سعد ،فهمي ،العامة في بغداد،ص٦٩

[١١٥] أحلام الزعيم، *"المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في العصر العباسي"*، ص٩٧

[١١٦] نفس المرجع ،ص٩٧

الْعَبّاسِيَّة ، مِمَّا شجّع نُمُوّ فَنّ الْغِنَاء لَدَى الْجواري فِي مَجَالِسِهِم ، وَاِسْتَطَعْن أَن يُفَكِّكْن حُكر الشَّعْر وَاِسْتَقْطَبْن ساحاته وَأَصْبَحَنّ مُلْهَمَاتِه.[١١٧] فَنَلْحَظ مَثَلا خُرُوج الشَّعْر الْإِسْلامِيّ فِي عَصْر الْعَبّاسِيِّين بِكَثْرَة. وَانْتَشَر مَعَه أيضا تَعْلِيم الْغِنَاء وَالضَّرب عَلَى أَوْتَار الآلات الْمُوسِيقِيَّة لِلْجَارِيَات ، بَل وَتُمّ إِنْشاء دُور خَاصَّة بِذَلِك سُمِيت دُور التَّقِيِّين وَجَدْت فِي عَوَاصِم الدَّوْلَة الْعَبّاسِيَّة ، وَاِشْتَهَر الْعَدِيد مَن النَّخَّاسِين الَّذِين تُوُلُّوا مُهِمَّة تَرْقِيَة الْجَارِيَّة وَإِحْسَان تَعْلِيمِهَا ، فكّن يَجِدُّنّ بِالْإِضافَة إِلَى الْغِنَاء وَالشُّعُر الْقَرَّاءة وَالْكِتَابَة ، فَحَرَّكْت الْجَارِيَّة المياة الرَّاكِدَة لِلثَّقَافَة فِي هَذَا الْعَصْر.[١١٨]

فَعُدِم إِلْزَام الْجَارِيَّة بِالْخُمَار سَاعَد النَّخَّاسِين فِي اِسْتِغْلاَل ذَلِك ، وَالْإِهْتِمَام بِتَزْيِين الْجَارِيَّة وَخُرُوجَهَا لِلْاِخْتِلاط بِالرِّجَّال ، خُصُوصَا مَع الشُّعَرَاء ، لِتُشَيِّع أَخْبَارَهَا فيسارع ذُوُو النُّفُوذ إِلَى شِرَائِهَا. [١١٩]وَلَا شَكّ أَنَّه لَم يَفُت ذوي النُّفُوذ ، مَن قَادَة وَأمراء وَوُزَرَاء ، استجرار الْجواري وَتَشْجِيعَهُنّ لِلْوُصُول إِلَى قَصَر الْخِلاَفَة ، وَاِسْتِعْمال مَا لِهُنّ مَن حُظْوَة لَدَى مَالِكِيهِنّ لِمُصَالِح خَاصَّة وَمَطَامِح سِياسِيَّة.[١٢٠] فَارْتَقَت الْجَارِيَّة إِلَى درجة أَعَلَى ، نَافَسْت فِيهَا مَكَانَة الْحُرَّة الْعَرَبِيَّة الَّتِي دَفَعْت إِلَى قَعْر بَيْتِهَا مَحْجُوبَة بَيْن أَسْوارِه.[١٢١] فَكَان الْعَدِيد مِنْهُنّ أُمَّهَات الْخُلَفَاء و أُمَّهَات أَوْلاَدِهِم ، فَالْخَيْزُرَان زَوْجَة الْخَلِيفَة الْعَبّاسِي الْمَهْدِيّ (١٥٨ – ١٦٩ / ٧٧٤ – ٧٨٥)[١٢٢] هِي أَم الْخَلِيفَتَيْن ، الْهَادِي وَالرَّشيد وَمَرَاجِل زَوْجَة الرَّشيد هِي أَم وَلَّدَه الْخَلِيفَة الْمَأْمُون (١٩٨ – ٢١٨ / ٨١٣ – ٨٣٣)، وَمَارِدَة أَم وَلَّدَه الْخَلِيفَة الْمُعْتَصِم (٢١٨ – ٢٢٧ / ٨٣٣ – ٨٤١)،وَقَرَاطِيس جَارِيَّة الْمُعْتَصِم وَأَنْجَبْت لَه الْخَلِيفَة الْوَاثِق (٢١٨ – ٢٣٢ / ٨٣٣ – ٨٤٦

---

[١١٧] نفس المرجع، ص١٠٨

[١١٨] عبد السلام الترمانيني، *الرقى*، ص٩٧–

[١١٩] نفس المرجع ،ص١٠٩

[١٢٠] عبد السلام الترمانيني، *الرقى*، ص١٢١

[١٢١] نفس المرجع ،ص١٢١

[١٢٢] محمد طقوش، *تاريخ الدولة العباسية*، (بيروت: دار النفائس ٢٠٠٩م) ط.٧ص٤٧

).[١٢٣]وَالْقَائِمَة تُطَوَّل إِذَا مَا ذَكَرْنَا أُمَّهَات الْأَوْلَاد وَأَدْوارَهُنّ الْمُهِمَّة فِي تَارِيخ السِّيَاسَة فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ.[١٢٤]

فَعَنْدَمَا نَجَحْت الْجَارِيَّة فِي التَّحَرُّر مَن مُوَقِّعِهَا الْأَدْنَى ، اِسْتَحْوَذْت غَلَّى اِهْتِمَام الرُّجَّال ، و قَلِصْت مَن مَكَانَة الْمَرْأَة الْحُرَّة الَّتِي حَاوَلْت جَاهِدَة الْمُحَافِظَة عَلَى مَكَانَتِهَا ، إِذ إِنّ تُغَيِّر التَّرْكِيبَة الطَّبَقِيَّة وَالنَّظِرَة الى النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ أَدَّى إِلَى تَغْيِير فِي أَدَاء الْأَدْوار الْإِجْتِمَاعِيَّة ، وَهَذَا مَا تَسْعَى لَه جَوْن سكوت فِي مَقَالِهَا النَّوْع : مَقُولَة مُفِيدَة فِي التَّحْلِيل التّارِيخِيّ[١٢٥] فِي إِظْهار دُور الْجَنْدَر وَتَغَيَّر الطَّبَقَة الْإِجْتِمَاعِيَّة ، الَّذِي بِدُورِه يُغَيِّر الدُّور التّارِيخِيّ لِلنِّساء فِي تَجَارِبِهِنّ. فَفِي تَسْلِيط الضَّوْء عَلَّي التجربة التّارِيخِيَّة لِنِساء فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ ، نَجْد أَنّ اِنْدَفَعْت الْحَرائِر إِلَى التَّشَبُّه بِالْجواري ، وَأُتُّخِذْن الْعَدِيد مَن مَظَاهِر عدّت " شَاذَّة " بِالنِّسْبَة لِلْمُجْتَمَع الْعَبّاسِيّ وَنَظِرَتَه للمرأة الْحُرَّة ، حَيْث مَارَسْت الْجواري حَيَاة التَّرَف وَالْبُذَّخ وَالْسَعِي إِلَى كُلّ جَديد مَن دُون اِعْتِبار لَمَّا يَصُح ، مِمَّا ولّد نَتَائِج مُهِمَّة أَثَرْت عَلَى الْمُجْتَمَع كَكُلّ ." أَوَّل مَا النَّظَر يَلْفِت أَنّ الْمَرْأَة الْحُرَّة كَانَت فِي الْأَنْدَلُس مقصورةعلي أَنّ تَعَيُّش خَلْف حجاب غَلِيظ ، وَخَاصَّة فِي الْأُسَر الْغَنِيَّة ، وَلَعَلَّهَا تَشَبُّه فِي ذَلِك أُخْتَهَا فِي الْمُشْرِق ، وَأَمَّا مَا نلمحة مَن حَرِيَّة فِي الْحَرَكَة فَيُكَاد يُكَوِّن مَقْصُورا عَلَى الْجواري "[١٢٦] فَمَا النّزاع بَيْن أَبْنَاء الْخَلِيفَة هارُون الرَّشيد[١٢٧] وَهُمَا الْخَلِيفَتَانِ الْأَمين اِبْن زُبَيْدَة بِنْت جَعْفَر بْن أَبِي الْمَنْصُور[١٢٨] ، وامَا الْمَأْمُون اِبْن الْجَارِيَّة مَرَاجِل إلا وجه مَن أُوَجِّه الصِّراع الطَّبَقِيّ بَيْن أَبْنَاء الْحُرَّات وَأَبْنَاء الْإِمَاء. فَقَد عُرِف حَبّ هارُون الشَّدِيد لِزُبَيْدَة عَلَى الرَّغْم مَن أَنَّهَا لَيْسَت زَوْجَتُه الْوَحِيدَة ،

---

[١٢٣] عبد السلام الترمانيني، *الرق*، ص١٢١

[١٢٤] نفس المرجع، *الرق*، ص١٢١

[١٢٥] جون سكوت ،*النوع*، ٣٥-٦٢

[١٢٦] أبو محمد علي الظاهري(ت.٤٥٦)،رسائل ابن حزم الأندلسي،تحقيق احسان عباس،ج.١ (بيروت ،ساقية الجنزير،١٩٨٠)،ص٧٠

[١٢٧] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج١٠، ص٢١٣

[١٢٨] محمد طقوش، *تاريخ الدولة العباسية*، ص١١٣

فَقَد شَارَكَهَا هارُون الْكَثِير مَن الْجواري وَالزَّوْجَات [١٢٩]، فَقَد ذُكِر الْمُؤَرِّخ اِبْن كَثِير أَنّ دَار الرَّشيد قَد ضُمَّت أَرْبَعَة آلاَف جَارِيَّة.[١٣٠] فَوُجُود الْكَثِير مَن الْجواري وَازْدِهَار عَمَل النَّخَّاسَة لَم يَقِفَّا عِنْد أَبْوَاب الْقُصُور ، بَل شُمِلَا الْحَيَاة الْعَامَّة. إذ شُهِّد الْعَصْر الْعَبّاسِيّ إقْبال الْعَدِيد مَن الشَّبَاب الْعَرَبِيّ عَلَى شِرَاء الْجواري وَتِرْك الزَّواج مَن الْحُرَّات الَّتِي يتشدد أَوْلِيَاء أَمُورُهُنّ فِي طِلَب الْكَفْء ، بِالْإِضافَة إِلَى مَا قَد يَتَطَلَّبه الزَّواج مَن مُهُور عَالِيَة.[١٣١] فسّهل ذَلِك اِنْدِفاع بَعْض الْحَرائِر إِلَى سُلُوك دَرْب الْغَوايَة ، فَقَد تُمّ ضَبْط خَمْس بنات مَن بنات الْوُزَرَاء وَالرُّؤَسَاء مَع رُجَّال فِي وَضْع مُرِيب ، فَأُمِرّ صَاحِب شَرْطَة بَغْداد أيَّام الْخَلِيفَة الْمَأْمُون وَالْمُعْتَصِم بِقَتْلِهِنّ ، إلا أَنَّه دُون ذَلِك تَدَخَّل أحَد الشُّيُوخ الَّذِي حمّل آباءَهُنّ الْمَسْؤُولِيَّة، وَأُشَارّ إِلَى أَن يُزَوِّجَهُنّ مَن أَبْنَاء الْقَادَة ، فَيَكْفِي بِذَلِك الْعَار وَالنَّار.[١٣٢] حَتَّى تَحَوَّلْت دُورالْقِيَان إِلَى دُور لِلْفساد وَالْبِغاء [١٣٣]، مِمَّا زَاد أثَرَه السَّلْبِيّ عَلَى مُوَقِّع الْمَرْأَة الْحُرَّة ، الَّتِي كَان لَهَا نَصِيب الْأَسَد مَن الْوَعْظ الْفِقْهِيّ ، فَقَد حُرِمْت مَن تعلّم الْقِرَاءة وَالْكِتَابَة خَوْفًا مَن أَن تَتَشَبَّه بِالْجواري وَتَتَّخِذَه وَسِيلَة فِي مُرَاسِلَة الْخلان.[١٣٤] حَتَّى قَال أَحَدّ الْوعاظ ، عَنْدَمَا رَأَى اِمْرَأَة تَتَعَلَّم الْقِرَاءة وَالْكِتَابَة " أفْعَى تُسْقَى سما ".[١٣٥] كَمَا نَلْحَظ تَشَدُّد الْفقهاء فِي حبس الْمَرْأَة وَكَرَاهَة خُرُوجِهَا مَن الْبَيْت ، حَتَّى لَو كَان لِأَدَاء الصَّلاَة ، فَالْفَقِيه الشَّافِعِي (ت: ٢٠٤ / ٨١٩) قَد كَرَّه خُرُوج ذُوَات الْهَيْئَة مَن النِّساء لِصَلاَة الِاسْتِسْقَاء.[١٣٦] وَعَنْدَمَا سُئِل الأمام أَحَمْد بْن حَنْبَل عَن خُرُوج النِّساء لِصَلاَة الْعِيد ، قَال : " لَا

---

[١٢٩] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج١٠ ص٢٧١

[١٣٠] نفس المصدر، ج١٠، ص٢٢٠

[١٣١] الترمانيني ، *الرق*،ص ١٢٧

[١٣٢] نفس المرجع

[١٣٣] نفس المرجع ،ص١٢٧

[١٣٤] عبد السلام الترمانيني،*الرق* ، ص ١٢٨

[١٣٥] نفس المرجع، ص١٢٩

[١٣٦] محمد الشافعي، الأم، ج٢، ص٥٤١

يُعَجِّبْنِي فِي زَمانِنَا هَذَا ، لِأَنَّهُنّ فتنة "[١٣٧]، عَلَى الرَّغْم مَن حَديث عَن الرَّسُول " لَا تَمْنَعُوا إِمَاء الله مَسَاجِد الله ".[١٣٨] مِمَّا أَنْتج بِطَبِيعَة الْحال تشددا فِي مُلَبَّسِهَا ، كَذَلِك " كُلّ الْمَرْأَة عَوْرَة إلا كَفِيهَا وَوَجْهَهَا " لَدَى الشَّافِعِي ." [١٣٩]وَكُلُّهَا عَورَة حَتَّى ظُفْرِهَا " لَدَى أَحْمَد بْن حَنْبَل.[١٤٠] فَالْخُمَار تطّور مَن اِمْتِياز طَبَقِيّ إِلَى أدَاة عزل وَحُبُس للمرأة وَتَقْليص دُورِهَا فِي حُدود الْمُنْزَل. وَتُرَكِّز جُهْد الْفقهاء فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ عَلَى تَبْدِيل هَذَا الْمَفْهُوم وَرُبُطَه بِالْحُرَّة فَقَطّ. فَأَحْمَد بْن حَنْبَل ، فِيمَا رَوِيّ عَنْه فِي أَحْكَام النِّساء ، يرى أَنّ الْأُمَّة لَا تنتقب ، وَفِي روايَة أُخْرَى ذَكَر كَرَاهَة خُرُوج الْأُمَّة منتقبة ، وَلَكِنّ إِذَا كَانَت جَمِيلَة تنتقب.[١٤١] وَقَد أُوضِح الْمُحَقِّق أَنَّه أُبِيح النَّظَر إِلَى الْأُمَّة وَلَكِنّ بِشَرْط نِيَّة الشِّرَاء ، وَيَرْجِع ذَلِك إِلَى أَنّ عَورَة الْأُمَّة دُون الْحُرَّة. كَمَا أَنّ الْفَقِيه الشَّافِعِي اِسْتَحَبّ أَنّ تَكَوُّن إِمَامَة النِّساء فِي الصَّلَاة لِلْحُرَّة [١٤٢]، وَذَلِك أَنّ الْأُمَّة قَد تَكَوَّن مَكْشُوفَة الرَّأْس عَلَى عَكْس الْحُرَّة الَّتِي تَكَوُّن متقنعة.[١٤٣] وَلاَبِد أَنّ نشير إِلَى أَنّ كَلِمَة الْحجاب لَم تَرِد فِي فَتَاوَيِهِم فِي لِبَاس الْحُرَّة ، فَنَجِد ذِكْرَهَا لَدَى الشَّافِعِي عِنْد تَنَاوُله لِحجاب نِساء النَّبِيّ ، وَعُدِم وُجُوب صَلَاة الْجمعة للمرأة. [١٤٤]وَأَمَّا الأمام أَحْمَد فَلَم يَرِد عِنْدَه سِوَى الْخُمَار ، كَمَا فَصَّلْنَاه فِي السَّابِق. فَالصَّحِيح أَنّ كَلِمَة الْحجاب لَم تَسْتَعْمِل مَن قُبَلِهِم ، إلا أَنَّه تَمّ تَأْسِيس مَبَادِئ عزل الْمَرْأَة الْحُرَّة وَفَصْلَهَا عَن الْحَيَاة الْعَامَّة ، فِيمَا غَضّ النَّظَر عَن الْإِمَاء.

---

[١٣٧] أحمد بن حنبل، *أحكام النساء*، ص٦٢

[١٣٨] محمد بن مالك، *الموطأ*، ص١٩٧

[١٣٩] محمد الشافعي، *الأم*، ج٢، ص٢٠١

[١٤٠] أحمد بن حنبل، *أحكام النساء*، ص٣١

[١٤١] نفس المصدر، ص٦٠

[١٤٢] أحمد بن حنبل، *أحكام النساء* ،ص١٤٧

[١٤٣] محمد الشافعي، الأم، ج٢، ص٣٢٢

[١٤٤] محمد الشافعي، الأم، ج١٠، ص١٣٣

وَلَعَلّ خَيْر مَن اِنْتَبَه إِلَى تِلْك الْفُرُوق اللامنطقية بَيْن الْأَمَة وَالْحُرَّة هُو الْمُفَكِّر الأدبي الْعَرَبِيّ الْجاَحِظ (١٦٣ – ٢٥٥ / ٧٧٩ – ٨٦٨)[١٤٥] الَّذِي طُرِح هَذَا التَّسَاؤُل فِي رَسَائِلِه الْمَعْرُوفَة. فَأُشَارّ فِي بِدَايَة رِسَالَة الْقِيَان إِلَى عَدَم مُعَرَّفَة الْعُرْب لِلْحجاب بَيْن رُجَّالِهِم وَنِسائِهِم ، فَلَا يُزَالُون يَتَحَدَّثُون وَيَخْتَلِطُون مَع بَعْضِهِم ، حَتَّى أَنْزِل الْحجاب خاصا بِنِساء النَّبِيّ.[١٤٦] وَنَاقَش بَعْدَهَا مَوْضُوع النَّظَر لِلنِّساء ، وَإِنَّه لَيْس حَرامَا ، وُسُوق لِذَلِك الْعَدِيد مَن الْأدلة ، نَذْكُر مِنْهَا مَا جَرَّى فِي عَهْد عُمَر بْن الْخُطَّاب ، الَّذِي لَم يَنْكَر حَديث عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب مَع زَوْجَتِه عاتِكَة ، عَلَى الرَّغْم مِمَّا يَعْرُف عَن الْخُطَّاب مَن غَيْرَة شَدِيدَة.[١٤٧] وَكَيْف نُظِر فَقِيه الْعِرَاق الشَّعْبِيّ إِلَى عَائِشَة بِنْت طَلْحَة زَوْجَة مُصَعِّب بْن الزُّبَيْر ، وَلَم يَنْكَر ذَلِك أيضا ، فَهُو أَكَدّ أَنّ مُحَادَثَة الرُّجَّال لِلنِّساء تَحْتَاج إِلَى التَّوَاصُل الْبَصَرِيّ ، فَلَا يَعْقِل أَنَّهَا مُحْرِمَة إلا أَذا تَعَدَّت حَدّ النَّظَر إِلَى مَا وَراء الْجَلاَبِيب.[١٤٨] وَعُرِض ظُهور الْجَارِيَات فِي الدَّواوين الْمَلَكِيَّة وَقَضَائِهِنّ لِحَوائِج النَّاس ، مِثْل خَالِصَة جَارِيَة الْخَيْزُرَان وَغَيْرَهَا الْكَثِير ، فَكَنّ " يَبْرُزْنّ لِلنَّاس أَحُسَّنّ مَا كَان وَأَشْبَه مَا يُزَيِّن بِه ، مَا أَنْكَر ذَلِك مَن مُنْكِر وَلَا عَابَه ".[١٤٩] وَكَذَلِك عَلَى عَادَة بروز الْمَرْأَة الْعَانِسَة ، وَهِي مَن تَتَأَخَّر بِالزَّواج وَكَيْف لَا تَحْتَشِم مَن الرُّجَّال ، فَلِماذا حُرِم عَلَيهَا وَهِي شَابَّة وَحْل لَهَا فِي الْكِبْر ، فَهُو كَمَا قَال " أُمِرّ فرّط فِيه المتعدون حُدّ الْغَيْرَة إِلَى سُوء الْخُلُق وَضُيِّق الْفِطَن ، فَصَار عِنْدَهُم كَالْحَقّ الْوَاجِب ".[١٥٠] وَوَصْف لَنَا تَنَاقَض الْمُجْتَمَع آنذاك تُجَاه النِّساء ، فَهُم يُعَيِّبُون عَلَى الْحُرَّة وَيَسْتَعْجِبُون زَواجَهَا أَكْثَر مَن مَرَّة وَقَد يُعَافُونَهَا لِذَلِك ، وَهِي الَّتِي كَانَت فِي السَّابِق تَتَزَوَّج مَن عُدَّة رُجَّال لَا يَمْنَعُهَا سِوَى الْمَوْت ، وَيَرْغَبُون بِاسْتِمْلاك الْأُمَّة الَّتِي مَرّ عَلَيهَا عَدَد لَا يُحْصَى مَن الْمُلاَّك ، فَلَم يُغَارُوا

---

[١٤٥] خير الدين الزركلي، *الأعلام*، (بيروت: دار العلم للملايين ٢٠٠٢م) ط١٥، ج٥، ص٧٤

[١٤٦] الجاحظ، *رسائل الجاحظ الرسائل الكلامية*،ص٦٦-٦٧

[١٤٧] نفس المصدر، ص٦٨

[١٤٨] الجاحظ، *رسائل الجاحظ الكلامية*، ص٦٩

[١٤٩] نفس المصدر، ص٧١

[١٥٠] نفس المصدر

عَلَى الْإِمَاء وَهُنّ أُمَّهَات الْخُلَفَاء وَحظايا الْمُلُوك " فَمَن حسّن ذَلِك فِي الْإِمَاء وَقُبْحه فِي الْحَرائِر !".[١٥١] إنّ إِعادَة كِتَابَة تَجَارِب النِّساء تاريخيا لِمَفْهُوم مُهِمّ كَان ومازل ذَا جَدَلِيَّة كَبِيرَة فِي شَرْعِيَّتِه ، مَع التَّعَادُل الْقِيِّمِي بَيْن الْفِئات تُسَاعِد فِي فَهم هَذِه الْجَمَاعَات الْمُخْتَلِفَة الْعُنْصُر وَالطَّبَقَة وَالْمُمَاثِلَة فِي النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ ، الَّتِي تُمَّت مُمَارِسَة تَفْسِيرَات مُخْتَلِفَة عَلَيهَا لِمَفْهُوم " السُّتُر " نَفْسُه ، حَيْث إنّ الأختلاف بَيْن تَطْبِيق مَفْهُوم الْحجاب الَّذِي يَنْدَرِج تَحْت مَفْهُوم السُّتُر فِي الْمُمَارِسَة التّارِيخِيَّة ، وَكَذَلِك فِي تَفْسِير النَّصّ الدِّيِّنِي وَالتَّهْمِيش الْوَاسِع لِلْأَحْدَاث التّارِيخِيَّة الْمُهِمَّة ، مُمْكِن مَن خِلَالَهَا أَن تَعْطِي صُورَة أُوَضِّح لِمُمَارِسَة السُّلْطَة فِي فُرَّض الْحجاب عُلِّي فِئَات مُحَدِّدَة مَن عَدَمَة وَهُنَا سكوت [١٥٢]تَفَسُّر أَنّ السِّيَاسَات مَا هِي الَا اِرْتِبَاط صَرِيح مَا بَيْن النَّوْع وَالسُّلْطَة وَتَفْسِيرَهَا لِسِيَاسَة بِهَذَا الشَّكْل الْمُحَدِّد وَالَّذِي يَفْسِر الْإِرْتِبَاط بَيْن النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَالسُّلْطَة يُوَضِّح لَنَا فِي مَوْضُوع الدِّرَّاسَة هُنَا أَنّ التَّرْكِيز عَلِيّ دَرَّاسَة النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَدَوْرَة فِي الْمُجْتَمَع الاسلامي وَتَصْنِيف فِئَات مُحَدِّدَة فِيه وُفْق مُوَرِّثَات قَدِيمَة ثَقافِيَّة وَاِجْتِمَاعِيَّة وَتَفْسِيرَات دِينِيَّة أَعْطَت مَفْهُوم الْحجاب الدِّيِّنِي لِتِلْك الْحُقُب الزَّمَنِيَّة. كَذَلِك سَاهَمْت تَجَارِبَهُنّ فِي إِعادَة صِيَاغَة تارِيخِيَّة لِمَوْضُوع السُّتُر (الْحجاب ، الْجِلْبَاب ، الْخُمَار)، وَكَانَت تَجَارِب اِجْتِمَاعِيَّة تَتَمَيَّز بِاِخْتِلَافِهَا التَّامّ ، مِمَّا يُشِير إِلَى أَنّ النِّساء فِي ذَاك الْعَصْر لِهُنّ التَّجْرِبَة وَالْمُمَارِسَة وَالتَّارِيخ الْمُنْفَرِد. فَلِكُلّ نَوْع أَو عُنْصُر وَطَبَقَة تَارِيخ ، خاصّ وَإِنّ مَارَسُوا عَلَيهُنّ الْقُوَّة وَالسُّلْطَة وَالْهَيْمَنَة لِأَسْبَاب قَد يُكَوِّن لَهَا تَفْسِيرَهَا الدِّيِّنِي أَو السِّيَاسِيّ أَو حَتَّى الثَّقافِيّ. إنّ التَّغْيِير فِي التَّرْكِيبَة الإجتماعية لِلْعَصْر الْعَبّاسِيّ وَالتَّغْيِير الْمُصَاحِب لَه فِي أَوْضَاع النِّساء مَا بَيْن الْأَمَة وَالْحُرَّة ، وَالصِّرَاع الْمُسْتَمِرّ بَيْنَهُنّ ، وَالَّذِي زَرَعَه النّظام الذَّكورِي فِي الْمُجْتَمَع الْعَبّاسِيّ ، كَان لَه الْأَثَر الْأَكْبَر فِي تَطَوُّر مِثْل هَذِه الْمُنَافِسَة بَيْنَهُنّ ، فَالْحُرَّة هُنَا سِعْت إِلَى التَّشَبُّه بِالْجَارِيَّة الَّتِي تَتَمَتَّع بِالنَّصِيب الْأَكْبَر مَن حَيْث مَسَّاحَة الْحَرِيَّة ، فَقَد عُزِلَت الْحُرَّة لَيْس خمارأ فَقَطّ بَل جَسَدا وَروحَا وَرَاء أَسْوار الحرملك ، بَيْنَما تَمْتَع الْجواري بِالْعَالِم الْجَدِيد الْمُنْفَتِح

---

[١٥١] الجاحظ، *رسائل الجاحظ الكلامية* ص٧١-٧٢

[١٥٢] جون سكوت ،*النوع*، ٣٥-٦٢

عَلَى ثَقَافَات مُتَعَدِّدَة ، وَأَجَادَت الْجَارِيَّة جَمِيع أَشْكَال الثَّقَافَة ، مَن شَعْر وَغِنَاء وَمُوسِيقَى ، بَل لَعِبْن دَوْرا وَاضِحا فِي نهضة ثَقَافَة الْعَصْر الْعَبّاسِيّ الْأَوْل ، فَهَذَا التَّمايُز بِالْحُجُب وَالْعزل لِلْحُرَّة أَخَذ أبعادا أَكبَرّ ، وَالتَّمايُز الطَّبَقَة اِنْعَكس بِشَكْل سَلْبِي هَذِه الْمرَّة عَلَى الْحُرَّة أَكْثَر مَن الْأُمَّة.

فَالطَّبَرِيّ وُفِّق هَذَا السِّياق لَم يَلِق اللَّوْم عَلَى الْجواري ، فَقَد عُذِر عَدَم اِسْتِطاعَتِهِنّ عَلَى التَّحَرُّر مَن هَذَا الْعَمَل " فَهِي ان جَفَّتْهَا تَفَلَّتَت ، وَإِنّ أَهمَلْتَهَا نَقَصْت ، وَإِنّ لَم تَسْتَفِد مِنْهَا وَقَّفْت ".[١٥٣] فَهَذِه التِّجَارَة الَّتِي نَمَتّ عَلَى يَد الرُّجَّال بِاسْتِغْلَال أَجْسَاد النِّساء قَد سَهُلْت شيوع فَسَاد الْأَخْلاق بَيْن النَّاس ، وَأُفْقِدْت الْمَرْأَة الْحُرَّة الثِّقَة وَهُزَّت صُورتَهَا. فَمَا مُحَاوَلَة الْفقهاء فِي عزل الْمَرْأَة الْحُرَّة دُون الْأُمَّة إلا اِعْتِقاد مِنْهُم أَنَّه حَلّ لِلْمَشَاكِل الَّتِي اِبْتَلِّي بِهَا الْمُجْتَمَع آنذاك ، مَن دُون الْإِلْتِفَات الْكَافِّي إِلَى إِسْراف الرُّجَّال فِي طِلَب اللَّذَّات وَالتَّمَتُّع بِالْجواري وَتَعَدَّد النِّساء ، وَمَا تَلَّاه مَن فَتْح الْبَاب أَمَام الْمُحْرِمَات ، فَعَالَجُوا الْخَطَأ بِخَطَأ ، وَأَسَّسُوا لِقَوَاعِد تَجْهِيل الْحَرائِر دُون الآخرين ، وَدَفَعَهُنّ إِلَى ظَلِمَات الْجَهْل لِقُرُون طَوِيلَة جَنى الْمُجْتَمَع آثَارَهَا السَّلْبِيَّة.[١٥٤]

وَلاَبِد مَن الْإِشارَة إِلَى أَنّ لَفْظ الْحجاب لَم يَشِع رُبُطَه بِالْخُمَار فِي هَذَا الْعَصْر ، وَلَكِنّ نَلْحَظ أَنّ قَوَاعِد الْعزل لَدَى الْحَنْبَلِيّ وَالشَّافِعِي تُجَاه الْحُرَّة قَد سَهُلْت هَذَا الرُّبُط فِي العصور اللّاحِقَة. فَلَفْظ الْحجاب كَمَا سُبِق تَوْضِيحَه مُرْتَبِط بِالسّتار الَّذِي فُرِّض عَلَى زَوْجَات النَّبِيّ أَوَلَا ، ثُمّ اِتَّخَذَه الْخُلَفَاء لِلتَّرَفُّع عَن الْعَامَّة ، كَمَا كَان فِي عَهْد الدَّوْلَة الْأُمَوِيَّة ، إلا أَنَّه تَحَوَّل إِلَى مُعَنّى سَلْبِي مَن الْعزلة وَالتَّكَبُّر فِي عَهْد الدَّوْلَة الْعَبّاسِيَّة ، بَيْنَما وَاضِح اِرْتِبَاط لَفْظ الْحجاب فِي ذَهِنِيه الْعَرَبِيَّة بِالْعزلة الَّتِي يَعْتَقِد أَنَّهَا إِذَا فَرَضْت عَلَى الْمَرْأَة فَهِي تَحُمِّي الْمُجْتَمَع مَن الْفتنة. فَالْمَرْأَة سَواء كَانَت جَارِيَّة أَو حُرَّة لَم تَخْرُج عَن كَوْنِهَا أَدَاة خَاضِعَة لِلرَّجُل ، فَالْأَوْلَى هِي الْمُتْعَة الْمُسْتَبَاحَة ، وَالْأُخْرَى الْمُتْعَة الْمُحْرِمَة الْمَحْجُوبَة. كَمَا أَنّ أسْئِلَة الْجاَحِظ ، الَّتِي نَظُنّ أَنَّهَا لُمِسْت حَقِيقَة الْوَاقِع أَهْمَلْت وَظَلَّت

---

[١٥٣] الجاحظ، *رسائل الجاحظ الكلامية*، ص٤٨

[١٥٤] عبد السلام الترمانيني، *الرق*، ص١٣٢

لِقُرُون عَدِيدَة مَن دُون إِجَابَات وَافِيَة حَوْل الْحُجُب ، وَإِنّ كَان السُّؤَّال حَوْل حُجُب الْخَاصَّة عَن الْعَامَّة أَو الْخَلِيفَة عَن الرُّعاَة ، حُجِب الْمَرْأَة عَن الْعَامَّة (الرجال) الأنها أشد الفتن عليهم .

إذاًهل حجب النساء لحماية الرجل الضعيف العاجز عن التحكم في نفسه؟.[١٥٥] أوكما أوضحت ألفة يوسف في كتابها ناقصات عقل ودين أنه: " لَو أُقْتُصِر الْقَوْل عَلِيّ دَرْء الْفتنة لِوُجِدْنَا دَرْء الْفتنة يَتَجَاوَز الْخُوَّف عَلَى الرُّجَّال مَن فتنة النِّساء "[١٥٦]، كَمَا أَشَارَت إِلَى أَنّ هُنَاك بَعْض الْمُفَسِّرِين الَّذِين فُسِرُوا الْعَدِيد مَن النُّصُوص الدِّينِيَّة بِعَوْرَة الرَّجُل عَلَى الْمَرْأَة وَمَا يُجَيِّب تَغْطِيَته ، وَالسُّؤَّال هُنَا : هَل كَان هُنَاك اِلْتِزَام بِتَطْبِيقِه دينيا وتاريخيا عَلَى الرُّجَّال ؟ إِنّ التَّجْرِبَة الَّتِي عاشَتُهَا نِساء تِلْك الْحِقْبَة لَا تَعْطِي تَفْسِيرا لَمَّا وضعتِه السُّلْطَة لِمُعَنّى الْحجاب ، الَّذِي أَصْبَح جَدَلِيًا فِيمَا بَعْد لِقُرُون كَثِيرَة حَتَّى وَقْتِنَا الْحالِيّ ، لِذَا كَان مَن الضَّرُورِيّ الْإِجَابَة هَل كَان الْحجاب رَمْزًا الْاِتِّساع الْفَجْوَات الطَّبَقِيَّة وَالْعَرَقِيَّة بَيْن نَوْع اِجْتِمَاعِيّ مُحَدِّد وَهُنّ النِّساء فِي العصرين الاموي وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل ؟ هَل أُثِرْت التَّغَيُّرَات الْإِجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقافِيَّة لِلْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ فِي إِعادَة الدُّور الدِّيّنِي لِإِرْتِدَاء النِّساء لِلْحجاب ؟

إِذَا مَفْهُوم الْحجاب قَابِل لِلتَّطْوِير وَالتَّغْيِير وُفِّق الظُّرُوف التّارِيخِيَّة ، مَا تَمّ تَفْسِيره وَفَّقًا للنص الدِّيّنِي يَكُمُّنّ فِي أَنَّه مُجَرَّد مِنْهَج لِلتَّفْكِير ، فَحَقِيقَة الْمُمَارِسَة التّارِيخِيَّة لِلْحجاب ، أَو مَا يَمُكُّنّ أَن يُسْمَى التَّجْرِبَة وِفْقا لَمَّا قَالَت ثومبسون وَالَّتِي ذَكَرْتِهَا سكوت فِي مَقَالِهَا حَوْل مَفْهُوم التَّجْرِبَة " إِنَّهَا بَدَلِيَّة سيرورية تَكْتَمِل بِتَحْقِيق الْوَعِيّ الْاِجْتِمَاعِيّ وَبِالْتَّعْبِير عَنْه "[١٥٧]حَيْث مَن الْمُمْكِن أَن نرى الْأَيدِيُولُوجِيَّات الْمَنْطِقِيَّة وَالثَّوَابِت الَّتِي ظَلَّت حقائق لِقُرُون مَاضِيَة فِي مَفْهُوم الْحجاب لَيْسَت حَقَائِق مُطْلِقَة. هَذَا بِالْإِضافَة إِلَى إِنّ مُمَارِسَة الْحجاب وُفِّق الْفَهْم القرآني لِتَفْسِيرَات الطَّبَرِيّ

[١٥٥] المرنيسي ،ما وراء الحجاب،ص١٥٤

[١٥٦] يوسف،ناقصات عقل،ص٥٦

[١٥٧] سكوت ،جون،"التجربة."،١٣٠-١٥٠

وَالرِّوايات التّارِيخِيَّة لِحَدَث الْحجاب فِي عَصْر النَّبِيّ ، بِخُصُوصِيَّة أُمِرّ الْحجاب لِنِساء النَّبِيّ وَالْمَعْنَى اللُّغَوِيّ لِمَفْهُوم الْحجاب ، اِتَّخَذ أبعادا أَوْسع فِي تَطْبِيق هَذَا الْمَفْهُوم فِي حِقْبَة زَمَنِيَّة مُهِمَّة كَان لِلتَّغْيِير الْاِجْتِمَاعِيّ وَالثَّقافِيّ الْأثر الْأكْبَر فِي اِتِّساع الْفَجْوَة الطبقيه وَالْعَرَقِيَّة بَيْن النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ (النِّساء) وَمُمَارِسَة السُّلْطَة الذكورية لِتَطْبِيقِهَا ، وَإِذ أُتُّخِذ الْحجاب الْاِجْتِمَاعِيّ رَمْزا مَهْمَا لِتَطْبِيق هَذِه التَّفْرِقَة ، مِمَّا أثَر بِشَكْل كَبِير فِي تَطَوُّر مَفْهُوم الْحجاب الدِّيِّنِي فِيمَا بَعْد عَبر تَفْسِيرَات فِقْهِيَّة أُعَمِّق ، وَبَدَأْت السِّياسَات الدِّينِيَّة تَضَع الْمَرْأَة ضِمْن خُطَّتِهَا التَّنْمَوِيَّة ، وَاِخْتَلَط مَفْهُوم الْحجاب الْاِجْتِمَاعِيّ بِالسِّياسِيّ وَالدِّيِّنِي وَالثَّقافِيّ ، وَبُقِّيت مُمَارِسَاتِه الْمُخْتَلِفَة حَتَّى وَقْتِنَا الْحالِيّ.

الْخَاتِمَة

إِنّ هَذِه الدِّرَاسَة الْمَوْضُوعَة فِي السَّرْد التّارِيخِي الْعَامّ وُفِّق وُجُود عُنْصُر التَّجْرِبَة وَالشّوَاهِد التّارِيخِيَّة ، بخصوص مَا شُهِّدُه مَفْهُوم الْحجاب مَن تَطَوُّر ، هِي مُحَاوَلَة لِرُصِد هَذِه الْعَمَلِيَّة اِنْطِلاقًا مَن إختلاط حَدَثِين مُهِمّين مُتَعَلِّق بِوَضْعِيَّة لِبَاس الْمَرْأَة ، حَيْث أَتَى الْأَوْل عَامًا لِلْمُسْلِمَات جَمِيعا ، وَهُو الْخُمَار ، لِإعْلاَن الثَّوَرَة عَلَى الْمُجْتَمَع الْجَاهِلِي ، وَصُبغ الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ الْحَديث بِهُوِيَّة جَدِيدَة عَن طَرِيق تَعْدِيل وَضْع الْخُمَار لِلْمُهَاجَرَات فِي الدَّوْلَة النَّبَوِيَّة. وَكَان فَعَلّ شَدّ الْجِلْبَاب لاَحِقًا لِلْخُمَار ، بِفُرَض إِحْدَاث تَمْيِيز طَبَقِي بَيْن النِّساء الْحَرائِر وَالْإِمَاء لِحِمَايَة الْحَرائِر مَن الْأَذى فِي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ الْأَوْل ، فِي حِين حَدَث فِي عَهْد الْخَلِيفَة عُمَر بْن الْخُطَّاب خِلْط لِمَفْهُوم الْخُمَار بِالْجِلْبَاب ، الَّذِي قلّ اِسْتِخْدامَه فِي تَأْصِيل التَّفْرِيق بَيْن الْحَرائِر وَالْإِمَاء لِغَرِض حُفَّظ الْحُقوق الْإِقْتِصَادِيَّة لِكُلّ طَبَقَة عَلَى حِدَّة.

وَهُنَا ناتي الِي سُؤَّال الْأَوْل لِلدَّرَّاسَة ، هَل كَان الْحجاب رَمْزا لِاتِّساع الْفَجْوَات الطَّبَقِيَّة وَالْعَرَقِيَّة بَيْن النِّساء فِي العصرين اِلْأَمُوي وَالْعَبّاسِيّ الْأَوْل ؟ أَنّ تَرْكِيز الدَّرَّاسَة عَلَى حُضور فِئَات مُهِمَّة الْعُنْصُر وَالطَّبَقَة وَمُمَارِسَتُهَا عَلِّي النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ (النِّساء) أُوضِح التَّمْيِيز بَيْنَهَا فِي قَضِيَّة اِرْتِدَاء الْحجاب وَمَفْهُوم السُّتُر ، مِمَّا جَعَل الْخُمَار فِي الْعَصْر الْأُمَوِيّ عَلاَّمَة تَمْيِيز وَشَرَفا طبقيا حَظِيت بِه الْعَرَبِيَّة الْحُرَّة غَالِبا. وَلَكِنّ سُقُوط الدَّوْلَة الْأُمَوِيَّة وَوُصُول الْعَبّاسِيِّين لِلْخِلاَفَة أُحَدِّث تَغْيِيرا فِي وَضْع الْجواري اللَّاتِي اُسْتُطِعْن الزَّواج مَن الْخُلَفَاء وَإِنْجابَهُم. وَكَذَلِك عُزِّزْت تِجَارَة الْجواري مَن اِنْحِطاط صُورَة الْمَرْأَة فِي الْأَذْهَان ، وَنُظِر إِلَيهَا بَعْض الْفقهاء عَلَى أَنَّهَا فتنة اِبْتَلِّي بِهَا الْمُجْتَمَع ، فَسُخِرُوا الْخُمَار لِعَزَلَهَا ، وَأُسِّسُوا مَبَادِئ فَصْلِهَا عَن الْحَيَاة الْعَامَّة ، مِمَّا سَهُل خِلْط مَفْهُوم الْحجاب بِالْخُمَار وَالْجِلْبَاب وَسُوء تَفْسِيرِه كَذَلِك فِي العصور اللّاَحِقَة. وَقَد لَعِب مَفْهُوم الْحجاب فِي هَذِه العصور دَوْرا فِي تَعْزِيز الْإِخْتِلاَفَات الطَّبَقِيَّة بَيْن الْحُرَّة وَالْأَمَة ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَوْحِيد الْمَفَاهِيم الثَّلاثَة (

الْحجاب ، الْخُمَار ، الْجِلْبَاب) الَّتِي خَصَّصْت فَقَطّ لِلنِّساء الْحَرائِر. وَفِي العصور اللّاَحِقَة ، كَمَا رَأَينَا فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ ، حَظِيت الْجَارِيَّة بِتَحَرُّر نَسْبِي ، بَيْنَما حُرِمْت مِنْه الْحُرَّة. وَلَكِنّ لَم تَخْرُج صُورَة الْمَرْأَة بِشَكْل عَامّ عَن أدَاة مُتْعَة خَاضِعَة لِلرَّجُل ، فَهُنَاك إمرأة يَحُلّ كَشْفَهَا وَأُخْرَى يَحُلّ حُجُبَهَا عَن النَّاس. وَمِن الْمُهِمّ هُنَا أَن نُوَضِّح ، كَمَا ذَكَرنَا سُلَفا حَوْل مَفْهُوم النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ وَمُمَارِسَة السُّلْطَة الْمُجْتَمَعِيَّة وَالدِّينِيَّة تغيّر الْأَدْوار الْإِجْتِمَاعِيَّة وَفْق مَا تِرَاه هذة السُّلْطَة مُنَاسِب وَالْأَفْضَل فِي تَفْسِير مَفْهُوم الْحجاب. إنّ كِتَابَة تَارِيخ الْحجاب تَتِمّ عَن طَرِيق سَرْد الشّوَاهِد التّارِيخِيَّة الَّتِي تُمَثِّل التَّجْرِبَة الحقيقيه الَّتِي مَارَسْتِهَا الْمُسْلِمَات فِي تَطْبِيق مَفْهُومَة عَلَى فِئَات اِجْتِمَاعِيَّة مَن النِّساء ،" حِين تُكَوِّن الشّوَاهِد الْمَطْرُوحَة هِي تِلْك الْقَائِمَة عَلَى التَّجْرِبَة ، فَإِنّ ذَلِك يُعَزِّز اِدِّعَاء الْمَرْجِعِيَّة ".[١٥٨] وَكَمَا أَنّ قِرَاءة دُور النَّوْع الْإِجْتِمَاعِيّ فِي دَرَّاسَة تَارِيخ الْحجاب كَان لَهَا الْأَثَر الْفعال فِي تَأْرِيخ تَجْرِبَة الْحجاب لَدَى النِّساء الْمُسْلِمَات فِي عصرين مُهِمّين كَالْعَصْر الْأُمَوِيّ وَالْعَصْر الْعَبّاسِيّ الْأَوْل ، وَقَدَمْت تصورا وَاضِحَا الْآلِيَّة تَطْبِيق الْحجاب وَأَسْبَاب مُمَارِسَتِه ، حَيْث كَان مَن الْمُجِدِّي اِسْتِخْدام الثَّالُوث الْمُقَدّس كَمَا تُمّ تَسْمِيَتَه مَن الْبَاحِثِين لِلْكَشْف عَن جَوَانِب مُهِمَّة فِي تَطْبِيق مَفْهُوم الْحجاب وممارستة عُلِّي فِئَات مُهَمَّشَة فِي الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ ، بِالْإِضافَة إِلَى فَهُم تَفاوُت السُّلْطَة الَّتِي أَعْطَت تَفْسِيرَا لِلْحجاب فِي تِلْك الْأَزْمان الْأَوْلَى. إنّ السُّلْطَة كَانَت ومازالت تَمَارَس قُوتَهَا فِي الْمُجْتَمَعَات وَتَعْطِي تَفْسِير الْحَقِيقَة الَّذِي تِرَاه يَتَمَاشَى مَع سِياسَتِهَا فِي مَفْهُوم الْحجاب ، فِي الْوَقْت الرَّاهِن تَحْدُث تَغْيِيرَات سِياسِيَّة لِمُرَكَّز مَهْمَا وَهِي الْمَمْلَكَة الْعَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة الَّتِي تُمَثِّل الْمَرْكَزِيَّة لِلتَّشْرِيعَات الدِّينِيَّة ، وَالَّتِي تَعْتَبِر الْأَشُدّ تمسكا بِالتَّقالِيد الدِّينِيَّة الْمُحَافِظَة ، حَيْث إنّ أَغْلِب تَغْيِيرَاتِهَا الَّتِي طَرَأَت فِي الْوَقْت الْحالِيّ تُصَب حَوْل قَضَايَا الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة ، أَهَمَّهَا مَوْضُوع السُّتُر الَّذِي يَتَغَيَّر وَفْق قَوَانِين ، وَلَيْس فَقَطّ فِي الْمَجَال الْمُجْتَمَعِيّ. وَبِالرَّغْم مَن أَنّ السُّلْطَة مَازَال يُسَيْطِر وَيُهَيِّمْن عَلَيهَا النّظام الذّكورِي ، فَإِنَّهَا أَعْطَت مَسَّاحَة مُتَنَوِّعَة فِي تَطْبِيق مِنْهَج جَدِيد مُخْتَلِف عَن النّظام الدِّيِّنِي الْمُحَافِظ. إذ أَعْطَى النِّساء حَرِيَّة فِي اِرْتِدَاء

[١٥٨] سكوت ،جون،"التجربة."،١٣٠-١٥٠

الْحجاب مَن عَدَمِه ، تَماشِيَا مَع السُّلْطَة وَسِياسَتَهَا فِي تَقْديم مَفْهُوم براغْماتِيّ لِلْحجاب. إِذَا هَل مُمْكِن لِلسُّلْطَة أَيَا كَانَت أَن تَتَوَافَق مَع فِكْرَة إِبْطَال مَفْهُوم الْحجاب ، وَرَبطَه بِمَوْضُوع أَوْسُع أَلَا وَهُو السُّتُر ، فَقَد زَال مَفْهُوم الرِّقّ وَالطَّبَقِيَّة بَيْن الْحُرَّة وَالْأَمَة فِي هَذَا الْعَصْر ، أَيّ إِنّ عِلَّة تَشْرِيع الْجِلْبَاب قَد زَالَت ، فَلَم تَعِد هُنَاك إِمَاء ، وَمَعْلُوم مَن قَوَاعِد الشَّرْع أَنّ الْحُكْم الشَّرْعِيّ الْمُعَلَّل يُدَوِّر مَع عِلَّتِه وُجُودا ، وَعَنْدَمَا وُجِدْت الْعِلَّة وُجِد الْحُكْم ، وَإِذَا اِنْعَدَمْت اِنْعَدَم الْحُكْم. وَلَا يُمَكِّن الْإِدِّعَاء بِأَنّ ذَلِك يُؤَدِّي إِلَى تَعْطِيل حُكْم قُرْآنِي ، الأن النَّصّ عَلَى عِلَّة هَذَا الْحُكْم فِي الْقُرْآن وَرِوايات أَسْبَاب النُّزُول ، لَا يَتْرُك مَجَالا لِنُرَدِّد فِي أَنّ حُكْم الْجِلْبَاب كَان سَبَبَا ظرفيَا. وَهَذَا مَا يَرْجِعُنَا الى سُؤَال الدِّرَّاسَة هَل أُثِرْت التَّغَيُّرَات الإجتماعية وَالثَّقَافِيَّة الَّتِي طَالَت الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ فِي إِعادَة الدُّور الدِّيِّنِي بِشَأْن اِرْتِدَاء النِّساء لِلْحجاب ؟

لَقَد كَان الْحجاب قَضِيَّة طَبَقِيَّة فِي صُفُوف الْمُسْلِمِين ، كَمَا كَان فِي الْمُجْتَمَعَات الَّتِي سبقتَهُم ، طوّر الْحجاب أيضا مَعَانِي مُتَعَدِّدَة مَنْحَت الْمُمَارِسَة التّارِيخِيَّة لِمَفْهُوم الْحجاب أبعادا أُخْرَى فِي السّنوات الَّتِي تُلَّت الْحُقُب الْأَوْلَى ، وَاِنْفَصَل الْحجاب عَن أُصولِه الطَّبَقِيَّة ، فَبَدَل أَن يُكَوِّن لِبَاسَا لِلطَّبَقَات الْعُلْيَا وَمَفْرُوضَا عَلَيهَا ، أَصْبَح الْحجاب الْيَوْم شَائِعَا بَيْن الْعَامَّة وَرَمْزَا لِلْحِشْمَة الْإِجْتِمَاعِيَّة ، وَهُو مَا أَسَمِينَاه بِالْحجاب الثَّقافِيّ فِي بِدَايَة الدِّرَّاسَة ، وَكَذَلِك الْمَفْهُوم الْآخِر أَلَا وَهُو الْحجاب السِّياسِيّ الَّذِي اِرْتَبَط بِالْأَحْزَاب الْإِسْلامِيَّة ، حَيْث أَصْبَح الْحجاب رَمْزَا لِلْاِنْتِماء إِلَى الْحِزْب ، وَالْاِنْتِشار الْوَاسِع لِاِرْتِدَاء الْحجاب بَات مؤشرا عَلَى قُوَّة الْقَاعِدَة الشَّعْبِيَّة لِلْحِزْب. كَذَلِك مَن الْمُهِمّ إِدْرَاك أَنّ مَفْهُوم الْحجاب وَالْمُمَارِسَة التّارِيخِيَّة لَه فِي سنوات الْإِسْتِعْمار الْغَرْبِيّ بَدَأ يُمَثِّل جُزْءَا مَن الْهُوِيَّة الثَّقافِيَّة لِمُجْتَمَعَات غَاب عَنْهَا إِحْسَاسَهَا بذاتها بِسَبَب تَمْزِيق الْهُوِيَّة وَالْاِنْتِماء الَّذِي سَبَبَه لَهَا الْإِسْتِعْمار. كَمَا أَصْبَح الْحجاب أيضا طَرِيقَة لِلتَّأْكِيد عَلَى رَفْض الْمُسْتَعْمِر وَإِعْطَاء الْحجاب حَقِيقَة براغْماتِيَّة تارِيخِيَّة جَدِيدَة أَلَا وَهِي الْهُوِيَّة. إِنّ الْبُعْد التّارِيخِيّ الَّذِي أَخَذَّه الْحجاب مَا هُو إلا تَفْسِيرَات أُتِيّ نَتِيجَة مَرْحَلَة كَان لَهَا التَّأْثِير الْمُجْتَمَعِي الْكَبِير ، عاشُهَا مُفَسِّرُون وَفقهاء فِي دَاخِل نظام اِجْتِمَاعِيّ تَحْكُمُه أَعْرَاف قَدِيمَة حَتَّى قَبْل الْعَهْد الْإِسْلامِيّ ، وَشَكِلْت الصُّورَة النَّمَطِيَّة للمرأة

بِمُخْتَلِف طبقاتها فِي هَذِه العصور. حَاوَل الْبَحْث تَسْلِيط الضَّوْء عَلَى هَذِه الطَّبَقَات الْمُخْتَلِفَة بِالتَّرْكِيز عَلَى النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ وَمُمَارَسَات السُّلْطَة عَلَيه ، تُمُثِّل الْغَرَض مَن هَذِه الدَّرَّاسَة فِي وَضْع الْحجاب فِي سِياقَات وَاقِعِيَّة تَدِلّ عَلَّي وَظِيفَة الْحجاب الْجَنْدَرِيَّة وَلِتَحْقِيق ذَلِك وَضَح الاحداث التّارِيخِيَّة وَالْمُمَارِسَات الثَّقَافِيَّة وَالْاِجْتِمَاعِيَّة وَأُثِر السُّلْطَة الَّذِي كَان وَمَازَال يُمَارِس دَوْرَة فِي قَضِيَّة الْحجاب وَالتَّأْثِير عَلِيّ النَّوْع الْاِجْتِمَاعِيّ ممي يَجْعَل الْحجاب قَضِيَّة سِياسِيَّة اِجْتِمَاعِيَّة أكثرمن كَوَّنَهَا دِينِيَّة فِي السَّابِق وَالْوَقْت الرَّاهِن.كَمَا أَوَضَحَت الدَّرَّاسَة أَنّ الْخُمَار صُبغ الْمُجْتَمَع الْإِسْلامِيّ بِهُوِيَّة جَدِيدَة عَن طَرِيق تَعْدِيل وَضْع الْخُمَار ، الجلباب وَضُع بَعْد الْحجاب وَسَاعِد عَلَى إِحْدَاث تَمْيِيز طَبَقِي بَيْن النِّساء الْحَرائِر وَالْإِمَاء ، كَان الْحجاب بِالْعَصْر الْأُمَوِيّ عَلاَّمَة تَمْيِيز حضيت بِهَا المراة الْعَرَبِيَّة دُون غَيْرَهَا مَن النِّساء ، كَمَا أُحْدِث الْحجاب تُغَيِّرًا طَبَقِيًا للمرأة فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ خَاصَّة الْجواري الَاتُي تُزَوِّجِنّ بلخلفاء ، هَذَا بِالْإِضافَة أَنّ الْجَارِيَّة حَظِيت فِي الْعَصْر الْعَبّاسِيّ بِتَحَرُّر نَسْبِي بَيْنَما حُرِمْت مِنْه الْحُرَّة.

المصاد والمراجع:

المصادر

١- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، اعداد:عبد الرحمن قاسم ومحمد عبد الرحمن (السعودية –مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤)

٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف ١٩٩٠)

٣- الأندلسي، عبد الملك بن حبيب السلمي: كتاب التاريخ، اعداد: عبد الغني مستو (بيروت: المكتبة العصرية،٢٠٠٨)

٤- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب: رسائل الجاحظ الرسائل السياسية، تحقيق: علي أبو ملحم (بيروت: دار ومكتبة الهلال ٢٠٠٢)

٥- ----------،رسائل الجاحظ الرسائل الكلامية، تحقيق، علي أبو ملحم (بيروت: دار ومكتبة الهلال ٢٠٠٢)

٦- حنبل، أحمد بن محمد:أحكام النساء، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم (بيروت: مؤسسة الريان٢٠٠٢)

٧- الدمشقي، عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٨م)

٨- الزهري، محمد بن سعد: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي ٢٠٠١)

٩- الشافعي، محمد: الأم، تحقيق:رفعت عبد المطلب (المنصورة: دار الوفاء لطباعة والنشر ٢٠٠١)

١٠- الطبري، محمد بن جرير:تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٧)

١١- ---------: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر،٢٠٠١)

المراجع:

١٢- إبراهيم، رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس (القاهرة: دار الأفاق العربية ١٩٩٨)

١٣- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب (القاهرة:دار المعارف٢٠٠٧)

١٤- أبو المجد، ليلي: المرأة بين اليهودية والاسلام(القاهرة:دارالثقافية للنشر٢٠٠٧)

١٥- أبو دية، أيوب :الحجاب في التاريخ،بيروت: دار الفارابي،٢٠١٢

http://www.narjes-library.com/2015/05/blog-post.html

http://www.narjes-library.com/2015/05/blog-post.html٦/ديسمبر/٢٠١٨

١٦- أبو شقة ،عبد الحليم: تحرير المرأة في عصر الرسالة (الكويت: دار القلم ١٩٩٥)

١٧- أمين ،قاسم: تحرير المرأة (القاهرة: مؤسسة هنداوي٢٠١٢)

١٨- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط،(مصر: مكتبة الشروق الدولية١٩٩٧)

١٩- البنا، جمال :الحجاب(القاهرة:دار الشروق٢٠٠٨)

٢٠- الترمانيني ،عبد السلام: الرق، (الكويت: المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨)

٢١- الحداد ،الطاهر: امرأتنا في الشريعة والمجتمع (القاهرة: دار الكتاب المصري٢٠١١)

٢٢- الدرايسة، وداد عوض:"الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٥٠م"، رسالة ماجستير، الأردن : جامعة اليرموك،١٩٩٤.

٢٣- الدقر ،عبد الغني: أحمد بن حنبل (دمشق: دار القلم١٩٩٩)

٢٤- الدوري ،عبد العزيز: العصر العباسي الأول(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤)

٢٥- رضا، محمد رشيد: حقوق النساء في الإسلام (بيروت: المكتب الاسلامي١٩٨٤)

٢٦- الزركلي ،خير الدين: الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ٢٠٠٢)

٢٧- الزعيم، أحلام : "المرأة ودورها في حركة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في العصر العباسي"، الموقف الأدبي، العدد١٢٧ ،١٩٨٦

٢٨- الزهراني ،محمد بن مطر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره (الرياض: دار الهجرة لنشر والتوزيع،١٩٩٦)

٢٩- زين الدين، نظيرة،السفور والحجاب: محاضرات ونظرات مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الإسلامي، مراجعة بثينة شعبان،ط٢،(دمشق:دار المدى،١٩٩٨)

٣٠- سامي،عامري : الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية (السعودية:مركز تكوين لدراسات والأبحاث ٢٠١٨)

٣١- سعد ،فهمي :العامة في بغداد:في القرنين الثالث والرابع الهجري،(بغداد:إتحاد الناشرين العراقين ،٢٠١٣)

٣٢- السقار ،صهيب محمود: جدلية الحجاب:حوار عقلي في فرض الحجاب وانكارة ،تحقيق محمد العوضي(الكويت:أفاق،٢٠١٧)

٣٣- سكوت ،جون:"النوع: مقولة مفيدة في التحليل التاريخي"، ترجمة: عبير عباس، كتاب النسوية والدراسات التاريخية،مؤسسة المرأة والذاكرة،العدد٣ ،٢٠١٥ ، ٣٥-٦٢.

٣٤- السناني، رحمة بنت عواد :"اللباس في الجزيرة العربية قبل الاسلام"، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، العدد٢٣ ، ٢٠١١، ٤٧-٦٢

٣٥- الصالحي ،محمد بن أحمد الدمشقي: طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم بوشي وإبراهيم الزيبق (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٩٦)

٣٦- طقوش ،محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية (بيروت: دار النفائس ٢٠٠٩)

٣٧- فهمي، منصور:أحوال المرأة في الإسلام، ترجمة: رفيدة مقدادي ,منشورات الجمل١٩٩٧ , ٢٥/سبتمبر/2019م

https://www.4shared.com/web/preview/pdf/oEruhgrz

٣٨- قاسم، حمزة محمد : منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (دار البيان ١٩٩٠)

٣٩- كيال، باسمة: تطور المرأة عبر التاريخ (بيروت: مؤسسة عز الدين ١٩٨١)

٤٠- المرنيسي،فاطمة :ما وراء الحجاب:الجنس كهندسة اجتماعية،ترجمة:فاطمة أزرويل(المغرب:المركز الثقافي العربي 2005)

٤١- ------- :الحريم السياسي، ترجمة: عبد الهادي عباس (دمشق: دار الحصاد ١٩٩٣)

٤٢- هيث ، جنيفر الحجاب :نساء يكتبن حول تاريخة وتقاليدة وابعادة السياسية ، ترجمة ربيع وهبة (القاهرة:المركز القومي للترجمة،٢٠١٩)

٤٣- يوسف، ألفة :ناقصات عقل ودين في فصول حديث الرسول (تونس: دارسحر للنشر٢٠٠٨)

1- Archer,J. LIoyd,B. Sex and Gender, (united kingdom: Cambridge University press 2002)

2-Fuller,P. Masculinity ,Emotion and Sexual Violence, in L.Morrise, E.S. Lyon Gender Relations in Public and Private, New Research Perspectives, (London: Macmillan 1996)

3-Shoemaker,R.Vincent ,M. Gander and History in Western Europe London:Arnold,1989)